

الهوية المركزية في روايات فوزي الطائي

شهد ناصر حسين شهد العزاوي

أ.د. راسم أحمد عبيس الجرياي

جامعة بابل / كلية التربية الأساسية

Central identity in the novels of Fawzi al-Taie

Shahd Nasser Hussein Shahd al-Azzawi

Prof. Dr. Rasem Ahmed Abis Al-Jarawi

University of Babylon / College of Basic Education

المخلص:

تُعد الهوية من الموضوعات المهمة في الادب العربي، وقد اكتسبت اهتماماً خاصاً من من الكتاب والنقاد، لاسيما الكاتب العراقي فوزي الطائي، الذي يُعد أحد أهم الكتاب العراقيين المعاصرين.

لذا جاء هدف البحث إلى دراسة الهوية المركزية في الادب العربي، وذلك عبر تناول (روايات فوزي الطائي)، ومعرفة مفهوم الهوية المركزية، ومعايير تشكيلاتها في رواياته . إذ تناول البحث (خمس روايات)، استند فيها إلى مناهج تحليل أدبية عدة، حاول عبرها فك شفرات النصوص، محاولاً الكشف عن التغيرات والتحولات الأيديولوجية التي طرأت على الهوية العراقية عبر خطوط الزمن، فالهوية عملية اشبه بالمناخ تتغير بحسب المؤثرات الخارجية. وعبر دراستنا لروايات الطائي من خلال هذا البحث، وجدنا أن الطائي عمد إلى الكشف عن المسكوت عنه في المجتمع العراقي، واستعمل شخوص رئيسة وثانوية لبروز جدلية الهوية بين ما هو مركزي وما هو هامشي.

وقد أظهرت دراسة البحث في النتائج النهائية، أن الهوية المركزية في روايات فوزي الطائي هوية متجذرة قائمة بذاتها، واتضح جلياً بروز ذاتها السلطوية، بوصفها هوية مركزية مهيمنة، تنفي وتهشم الهويات الأخر.

الكلمات المفتاحية: الهوية، المركزية، المجتمع العراقي، الرواية، فوزي الطائي

Abstract:

Identity is an Important topic In Arabic literature and has received special attention from writers and critics, especially the Iraqi writer Fawzi al-Ta'i, who is considered one of the most important contemporary Iraqi writers. Therefore, the aim of this research was to study the central identity In Arabic literature by examining Fawzi al-Ta'i's novels, understanding the concept of central identity, and the criteria for its formation In his novels.

The research examined five novels, relying on several literary analysis methods, through which it attempted to decode the texts, attempting to uncover the ideological changes and transformations that have occurred in Iraqi identity over time. Identity is a process similar to climate that changes according to external influences.

Through our study of al-Ta'i's novels In this research, we found that al-Ta'i sought to reveal what was unspoken in Iraqi society, and used primary and secondary characters to highlight the dialectic of identity between what is central and what is marginal

The research study showed, In the final results, that the central Identity in Fawzi al-Taie's novels is a rooted, independent identity, and the emergence of her authoritarian self became clear, as a central, dominant identity that denies and marginalizes other identities.

Keywords: identity, centrality, Iraqi society, novel, Fawzi al-Taie

وهي الهوية التي تتبنى ايولوجيا معينة تدافع عنها ، من أجل فرض هيمنتها الاجتماعية والثقافية والسياسية، كونها قوى متعصبة تملك خطاباً مؤسساتياً ناطقاً باسم السلطة ، رافضاً أية خطابات أخر ، لغرض فرض قوتها عليها في ضوء آليات التهميش والاقصاء ، ضد اي جهة تعارض سلطتها وتفرض هيمنتها ، لتكون بذلك هوية مهيمنة ، لا تنظر إلا إلى ذاتها رافضة الهويات الأخر وتعدّها هجينة ، وهذا الفهم الذي نتحدث عنه ليس بوليد اللحظة وليس بجديد ، وانما أشار إليه الدكتور عبد الله إبراهيم في تعريفه المركزية إذ قال " هي نوع من التمرکز حول الذات بوصفها المرجعية الاساسية لتحديد أهمية كل شيء واحالة الآخر إلى مكون هامشي ، وهو الذي لا ينطوي على قيمة بذاته إلا إذا اندرج في سياق المنظور ، الذي يتصل بتصورات الذات المتمركزة حول نفسها "(١).

لذلك تروم إلى جعل هوية الآخر خلفها وليست أمامها، لتجعلها هوية مغلقة مقيدة وثابتة غير ديناميكية ، أي انها غير خاضعة للتطور والنماء ، وهي بهذا تعمل على إلغاء الآخر وشطبه(٢) أي أنها تعدّه قيمة ملغية لا ذاتاً ولا هوية ، لتشيع مبدأ الهيمنة ، وتحقق مسوغها المتمثل بالرغبة والتفوق ، بحيث يصبح لديها تصور يقوم على التمايز والتراتب والتعالي على الهوامش الثقافية ، في سبيل الازعان والاعتراف بالشوكة والعظمة ، وبسط قدرتها عليه ، والتحكم فيه ، وكل ذلك بدافع فرض هيمنتها السلطوية(٣).

ولذلك يتعذر الحفاظ على الهوية في ظل الأساليب القمعية، التي تمارسها السلطة من قمع وطغيان على الهويات الأخر(٤) ، لأنها تعد نفسها كل شيء ، بمثابة الرب الأعلى الذي يعلو ولا

يُعلَى عليه ، فالسلطة السياسية " هي الظاهرة الأسبق وجوداً ، والاكثر حضوراً في حياة الإنسان والأبعد أثراً في توجيه نشاطاته الفردية والاجتماعية " ^(٥). بمعنى أنها تتحكم بحياة البشرية وتحولهم إلى قطيع من الاتباع بواسطة هيمنتها التي تحيا في العقول ، والتي تقوم على سياسة الترهيب والوعيد وفرض القيود ، لإنتاج نوعاً من العبودية إلى درجة " يصبح الخضوع التام والمطلق لسلطة الحاكم وإراداته هي الطابع المميز لعلاقته بشعبه، بل وبجهاز الدولة البيروقراطية ذاته " ^(٦)، كشرط أساس لا بد من تطبيقه ، حتى تفرض هيمنتها بشكلٍ قطعي ، وتستمر سطوتها على المجتمع امداً طويلاً .

فهي تعمل على تجاوز مفهوم الايديولوجية ، وتقوم بتحريف الأفكار والقوانين الحقيقية إلى صالحها ، بعد أن تسخر القانون لخدمتها ، لذلك يصعب علينا اكتشافها ، لأنها تتوغل في أرجاء المجالات الثقافية والاجتماعية وغيرها ، بل أنها تتوغل في كل شيء من حولنا من دون أن ندركها ^(٧) ، متخفية ومتتكرة بوجه العدل والحفاظ على الدولة، لتحتمي نفسها من الانتقاد والمعارضة ، فضلاً عن أنها تبرر كل أساليبها التي تمارسها ضد المجتمع من قمع للحريات، والاضطهاد ، والعنف ، وهذا بدوره قد يولد هوية متشظية ومتبعثرة ، تعيش حالة من الهلع والفوضى الداخلية ، وعدم احساسها بالوجود ، فضلاً عن عدم شعورها بالانتماء ، ناهيك عن تزحزح علاقتها مع الآخر ، لتحجيم دورها .

لذا نجد روايات (فوزي الطائي) ، تتجلى هويتها بجدلية الأنا والآخر ، وبروز الذاتية السلطوية ، التي تتميز بالأناانية وعدم الاكتراث لواقع شعبها ، والتعالي على الآخر، بوصفها الامثل والاجدر بالوجود ، والاصح والاصدق حكماً وسياسةً وإدارةً .

ويمكن القول هنا ، إنَّ كلاً من الانا والآخر ينطوي ضمن إطار الهوية ، فالحديث عن الهوية هو الحديث عن الانا ، في حين أن الحديث عن الانا هو بصفة ضمنية الحديث عن الآخر ^(٨) .

فالعلاقة بين الانا والآخر، وما يحصل بينهما من توتر وصراع ، هي عملية ذات جذور قديمة ، نجد لها حضوراً كبيراً في الروايات العربية على وجه العموم ، والروايات العراقية على وجه الخصوص ، انطلاقاً من الاحساس بضياغ الهوية ، والبحث عن الذات المفقودة أمام اخر يهيمن على محيط العالم من حولها ^(٩) ، وفي ضوء ذلك نؤكد بأن الهوية هي رحلة البحث عن الذات.

ولا تخلو روايات فوزي الطائي من هذا الوصف ، فقد كانت مسرحاً للعلاقة الجدلية بين الانا والآخر بتشكلها الكائن في المجتمع العراقي ، بوصفها قضية سياسية واجتماعية وثقافية زرعته الهوية المركزية المهيمنة ، وسوف نقوم برصد مظهرات هذه الهوية في رواياته .

ففي (رواية لا نبكي غداً) تتمثل الهوية بالنظام السياسي الحاكم (السابق) ، الذي يمارس الضغط على أبناء المجتمع العراقي ، وذلك عبر الحرب (العراقية _ الإيرانية) التي استمرت ثمانى سنوات ((نحن لا نريد الحرب ، لكن هي التي أتت إلينا...أتى بها من لا يخاف الله، وأتى بها حظ العراقيين والاييرانيين))^(١٠)، إذ تعد هذه الحرب البوابة التي يبيت عبرها النظام الخوف والرعب في نفوس العراقيين ، والتي راح ضحيتها الجيش العراقي ، و القتلى من أبناء الشعب المدنيين جراء القصف والقنابل الحربية ((مضى أكثر من شهر ونصف على الحرب استقبلت فيها القرية عدداً من أبنائها الشهداء الأبرار، وفقدت آخرين، وجرح عدد آخر))^(١١) ، وهذا ما يبدو واضحاً أيضاً عبر ثيمة إهداء الرواية ((شعبي العزيز الوفي ، يرحمهم الله تعالى) أحياءً وأمواتاً) ، شهداء العراق كافة (رضوان الله عليهم)^(١٢) ، وماعانااه المجتمع العراقي من هيمنة النظام ، إذ كان يسوق أبناء المجتمع إلى الخدمة الالزامية ((التحق ماجد علي العباس بخدمة الاحتياط ، وأخوه نعمة بالخدمة الالزامية))^(١٣) ، ومعاناة الجيش العراقي في تلك الحرب ، وهذا ما سيتضح جلياً في تحليلنا للنصوص الرواية.

فهي رواية تتناول موضوع الحب والموت في زمن الحرب في العراق ، وطبيعة الحياة القروية آنذاك، تمثلت في قرية علي العباس ((لم تكن قرية علي العباس ذات البيوت المتناثرة هي الوحيدة في المنطقة الزراعية ، فقد توزعت قرى عديدة تشابهت في كل شيء ابتداءً من طريقة البناء البسيطة أو بنمطه المتكرر الذي لا يعدو كونه مجموعة من الغرف المترصة قامت على أنقاض بناء طيني))^(١٤). فهي رواية اجتماعية ، وإن تخللتها بعض المواضيع السياسية ، وهذا ما يظهر واضحاً من خلال (غلاف الرواية) ، الذي يعد علامة مهمة في النقد السيميائي ، له ارتباط وثيق ببنية الرواية الداخلية (فهو يتضمن رسم بيوت من الطين المتلاصقة بعضها لبعض ، وحيوان يرعى ، وبئر ماء ، وأشجار ، ونار متوقدة بجانبها أرغفة الخبز) فهذه دلالة على أن محور الفكرة الرئيسة للرواية هي الحياة القروية الاجتماعية ، فضلاً عن محتواها الداخلي ، إذ تدور أحداثها في عدة محافظات العراق ، وتتحدث عن فائز بطل الرواية ، الذي كان أديباً وشاعراً ((

في ساعة مجد كبرى

ما مرت قبل اليوم مناقبها

أغمدنا سيف الحق وغضبتنا

أحرقنا القلق اليومي

وزرعنا ازهار البشرى^(١٥) ، اذ جاء سرد الأحداث على لسانه ، ذلك الطالب الذي تخرج من السادس الإعدادي، ليطمح ان يكون طالباً في كلية العلوم أو الهندسة ، وإصرار والده (الحاج علي العباس) على أن يلتحق في الكلية العسكرية ضابطاً ((الحاج علي العباس : معدك حسبما تتوقع في اية كلية يؤهلك للقبول؟ ... كلية الهندسة أو العلوم ، لن تنال الهندسة بمعدل وسط ، أما كلية العلوم فستقبل فيها بإذن الله، لكن ماذا تفعل بعد التخرج ؟ أجاب على الفور : مدرس كيمياء ... وبامتعاض شديد: نعم أنا أعرف ما تريد . تريد أن تغرق بالكتب والقراءة طوال حياتك . وهنا بدت على فائز علامات التأثر ، قال متعجلاً للوصول إلى غاية أبيه: إذاً ماذا تريد أن أكون؟ وجاءته الكلمة قوية وصريحة من الاب ضابطاً^(١٦). وما ينتج عن ذلك الصراع من مفارقة تكون بين ركن الطموح جانباً ، والقبول برأي الاب والدخول في الكلية العسكرية ، ولعل اصرار الاب على أن يكون فائز ضابطاً هو نتيجة تلك الهوية المكتسبة ، التي تهيمن عليه ، فقد كان عسكرياً ايضاً ((أنا في شبابي لم أتأخر أو أتغيب يوماً عن العسكرية))^(١٧) ، ثم التحق فائز للمباشرة في الكلية العسكرية ، والتقى عن طريق الصدفة في بغداد بفتاة اسمها (وفاء) بطلة الرواية ايضاً ، ليقع بعد ذلك اللقاء في حبها ((بدأت استذكارات فائز تزداد حدة اتجاه وفاء بعض مضي يوم واحد على ذلك اللقاء المعطر وصورتها لصقت على جدار القلب))^(١٨). ثم اصبح ضابطاً وجاءت الحرب (العراقية _ الإيرانية) وخاض غمارها ، واستشهدت (وفاء) بقنابل الطائرات الحربية على بغداد ، وهذا ما سوف يتضح في تحليلنا للنصوص الرواية.

اذ تكشف هذه الرواية عن صفحة مخفية ، ومسكوت عنها من الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية في العراق من ثمانيات القرن الماضي ، وهي رازخة تحت الحرب ، ورفع الحجب عن المحجوب ، وما عاناه الشعب في ظل تلك الحقبة المظلمة ، من ظلم واضطهاد ومجاعة طالت أظافر المجتمع العراقي ، فضلاً عن الفساد الإداري والاخلاقي الذي يعود إلى فساد النظام السياسي الحاكم ويرتبط به.

فهو الذي قاد الشعب بسيل الهيمنة ، إلى حرب لا ناقة لهم بها ولا جمل ، سوى تثبيت هيمنته ورغبةً لنزواته ، ولم ينتج عنها سوى التخلف والجهل والفقر والجوع والانحطاط لمجمل مكونات بنيتها الاجتماعية ، مما أدى الى حدوث خلل كبير في سلسلة تطور مسيرة حياة المجتمع

، حتى تراكمت في كيانه قيم الخضوع والخنوع والخوف من الحاكم ، إذ كلما قل مستوى وعي الشعوب ، أصبحت سهلة الانقياد والتحكم .

وتتجسد هذه السلطة بالنظام السياسي (السابق) الحاكم ، الذي بدأ بالحرب غير مكترثٍ لواقع الشعب وما سوف يعانیه من جراء تلك الحرب .

ويظهر ذلك على لسان إحدى شخصيات الرواية الثانويين يدعى عبد الواحد طالب رضي ((وأنا لا أرى أن لا قيمة للإنسان في بلدنا عند من يحكمون، وهم يدفعون بنا لمحرقه الحرب لا لشيء سوى إشباع نزواتهم المريضة))^(١٩)

من خلال هذا النص تتضح الهوية المركزية ، التي تجر الشعب إلى حروب الدمار والجهل ، بفعل هيمنتها السلطوية ، دون أي اكتراث واهتمام لقيمة الفرد ، فجل اهتمامها تثبيت سلطتها بالحكم استجابة لرغباتها الدنيوية ، في الوقت الذي يفترض أن ينعم المجتمع بالخير والسلام والتطور والازدهار، تسعى الحكومة إلى رمي الشعب في نيران المحرقة ، التي تخلف دماراً وتخلفاً يؤدي إلى التقهقر والانحطاط .

وفي مورد آخر من الرواية ، تظهر هيمنة السلطة وزرع اذانها في كل ناح من البلاد، لتعرف من عليها ومن معها ، وهذا ما كشفه الراوي من خلال الحوار الذي جرى بين أبناء قرية علي العباس ، ((في جمع كبير من أبناء القرية تحلقوا حول المذيع يستمعون اخبار المعارك قال علي العباس : نحن الشيوخ إن سمحوا لنا سنقاتل بروح الشباب وقال آخر: سنقاتلهم بالمدفع والسكين والاذافر والاسنان وآخر: دولتان جارتان على دين واحد.... لماذا القتال ؟ وآخر: أش اش اش ... للجدران اذان !))^(٢٠)

إذ يكشف لنا الروائي عن سمة التصلص التي كانت تعتمد عليها السلطة الحاكمة ، للإطاحة بكل من تسول له نفسه أن يتحدث عن النظام (السابق) بسوء ، نلتمس دلالتها عبر ذلك التجسيم اللغوي (للجدران اذان) فكيف يكون للجدران أذان ؟ ، إذ أراد الروائي هنا أن يبين هيمنة هذه الهوية المركزية ، في ضوء اعتمادها الأجهزة المخابراتية والحزبية الدكتاتورية ، بوصفها " الوسيلة الوحيدة لديمومة الدولة التي لا تستند على هوية وطنية متكاملة وموحدة "^(٢١) ، ومن هنا نلتمس ونكتشف أفعال الهيمنة والتسلط لدى السلطة التي تمارسها على الآخر، والتي تحاول من خلالها إلغاء الحوار والتفاهم والتفكير وشل قدرات الأفراد ، فيما يكشف النص أيضاً ، عن الانقسامات بين أفراد المجتمع ، بين مُرحباً للحرب وهو نفسياً مع ايدولوجيات

السلطة ، وهذا جاء على لسان أحد الشيوخ وبصيغة الجمع (نحن الشيوخ) ، فيما تضرر هذه الجملة على أن النظام كان مسيطر على هرم المجتمع المؤثر وهم (الشيوخ) ليكونوا إلى جانبه ، وبين رافضاً لها لعدم توفر الاسباب الشرعية لإقامة الحرب ، لاسيما العراق وايران على دين واحد!.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن استثمار الرواية للأحداث التاريخية، يدل على أن الروائي ذو قدرة عالية من كيفية توظيف ذلك التاريخ في بنية النص الروائي، ليظهر بذلك الحقيقة المسكوت عنها ، من لدن التاريخ الرسمي ، وحقيقة المجتمع الذي انهكته الحروب والصراعات في مرحلة حكم النظام البعثي في الثمانيات، فعملية تسخير الرواية للأحداث التاريخية يوفر " فرصة للامساك بالواقع المظلم المرير وتشريحه أفقياً وعمودياً ، جوانياً وبرانياً ... وجعله يقف أمام المرأة بتؤدة كبيرة ، ليفتح عينيه على المخازي والمقايح متكررة ومتجددة في خطابين متآزرين: الرواية والتاريخ "(٢٢).

وتبرهن الرواية على ان الشعب لم يكن طرف في هذه المعادلة الخاسرة من الحرب، لإظهار حقيقة الهوية المركزية بأنها الطرف الوحيد في تلك المعادلة ، وهذا ما كشفه الحوار الذي دار بين أمير وغازي وفائز بطل الرواية الذي اجتمعا في حفل زفاف كامل ونعمة ((أمير.. تخرجت من الطبية وانتهيت الخدمة الانزامية والان ادرس اختصاص ولم أراك سوى مرتين يافائز . الحرب سرقتك منا ام ماذا ؟ نقيب فائز : بل انا الذي سرقته الحرب صرت يومياً اعطي منها جزءاً للذين يريدون أن تستعروا..... غازي : لو كنت يافائز مثل أمير وحافظ بالخدمة المدنية لأصبحت مثلهم دكتوراً باختصاصك ، والحمد لله عملك بالجيش يكسبك شرفاً مضافاً ماكنت تحلم به لولا وقوع هذه الحرب والتي اساساً لم يسع إليها احدٌ من العراقيين من غير الساسة والحاكمين ((٢٣)

وهنا تنكشف الأساليب النسقية التي كانت تمارسها السلطة الحاكمة، مع الشعب، وهي الخدمة الانزامية ، حيث اخذت الكثير من افراد المجتمع العراقي قسراً للعمل في الجيش ، للدفاع عن عنجهية النظام الحاكم ، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على ضعف الهوية المركزية الحاكمة ، ولولا عدم شعورها بالضعف والاستكانة ، لما استعملت تلك الأساليب من أجل ديمومة بقائها في السلطة ، فضلاً عن ذلك حتى الذي كان يخدم في الجيش لم ينل شرف تلك الخدمة ، بسبب وقوع الحرب والعمل تحت إدارة من قام بها ، إذ جائت (لولا _ حرف امتناع لوجود) ، ناهيك عن مساعيها المنفردة للحرب من دون أن يسعى لها الشعب .

لذا وضع الروائي هذه الحقائق التاريخية في قالب أدبي فني ، لتثبيتها ، وإدانة كل من يزيغ التاريخ ، ويقول بأن الشعب كان يقف وراء تلك الحرب أو مساند للسلطة بهذه الأفعال الرديئة ، وليظهر هيمنة النظام (السابق) والمنفرد بسلطته على المجتمع العراقي ، وكذلك ليخفف من حدة التوتر الذي أصاب شعوب البلدين المتحاربين ، وليعيد المودة بين النفوس إلى نصابها ، بعد أن دثرتها الحرب.

وفي موطن آخر من الرواية ، تبرز هيمنة الهوية المركزية بشكل واضح وهي تمارس الضغط على أبناء المجتمع العراقي ، لتحقيق الانا الطاغية ، إذ ورد ذلك على لسان إحدى الشخصيات الرواية ، الذي يدعى عبد الواحد جنية ((لم يبق أحد لم يشارك في المعركة : الشباب في الجيش والشيوخ في الجيش الشعبي والمهمات الخاصة ، والنساء تبرعن بالأموال والذهب ، والاطفال يحققون النجاح في مدارسهم وينشدون للنصر والسلام))^(٢٤).

وعبر هذا النص تتجلى هيمنة السلطة الحاكمة ، لزج أبناء الشعب في تلك المحرقة التي لا طائل من تحتها ، فهي لم تفرق بين كبيراً وصغيراً شاباً كان أو شيخاً ، دون أي اهتمام يذكر، أو احترام يُقدر، فالهدف الرئيس الذي تروم الوصول إليه ، ترسيخ قيم الخضوع والخنوع لدى الشعب ، فضلاً عن استخدام المؤسسات الثقافية ، إذ فرض النظام سيطرته على عمود الثقافة وهي المؤسسات التربوية والتعليمية ، من أجل ترسيخ عقائد وعادات الحزب في نفوس التلاميذ والطلبة، فالطلبة بالمدارس عندما ينشدون للسلام ، فهم يشيدون بمواقف الحزب الذي كان مسيطر عليها " حيث أن الروابط الايديولوجية للحزب اخذت بالأفول بسبب فقدان حزب البعث فريقه المؤسساتي، متحولاً إلى مؤسسة أخرى وظيفتها تحشيد الجماهير إلى القائد ، من مئات طلبة المدارس والكليات إلى الشارع هاتفين بحبهم إلى القائد ومنادين بأعدائه ومحاسباً على أقل تفكير بالاعتراض "^(٢٥) ، فأراد النظام فرض السيطرة على أهم مؤسسة في مفاصل البلد ، من أجل أن تأخذ هويته المركزية صداها في النواحي جميعها.

ولم تخرج الهوية المركزية في رواية (كان لي قلب) عن هذا الإطار الاقصائي والتغيبي ، الذي تمارسه الأنظمة الحاكمة في العراق ، وفرض هيمنتها السلطوية ، وممارسة الضغط على أبناء المجتمع العراقي ((الله أكبر على وطن يريد له ساسته الموت وهو ينطق بالحياة))^(٢٦) ، فهي رواية اجتماعية، حصلت في مجتمع يعيش حالات ومواقف متغيرة ، تنصب أحداثها على حدث سياسي خطير ، وهو دخول العراق إلى الكويت ، وإقامة الحرب فيها لضمها كمحافظة عراقية ((العراق يغزو الكويت ، لا أحد يصدق هذا فالعراق من دعاة القومية))^(٢٧) ، وفي إشارة

دلالية لذلك من خلال اهداء الرواية أيضا (شهداء العراق والكويت في الحرب وبسببهما يرحمهم الله تعالى) ، وما رافق ذلك من أحداث تركت بصمتها على واقع المجتمع العراقي والكويتي، لا تبعد عن آثار الدمار التي خلفتها الحرب العراقية الإيرانية، والتي حصلت بعدها بمدة من الزمن عام ١٩٩١، لا سيما وهي معركة غير متكافئة الأطراف ((لا أستطيع تخيل ماذا سيحدث عندما تشن ثلاثون دولة كبرى وصغرى بقيادة الأمريكان حربهم على جيشنا في الكويت))^(٢٨).

إذ تدور أحداث الرواية بصورة عامة في عدة أماكن عراقية ، وبصورة خاصة (محافظة الكويت) التي تدور في رحابها أحداث الحرب ، ومن ثم الحديث عن آثار الدمار والخراب ولا سيما الأمراض التي كانت نتيجة القنابل والصواريخ، والتي راح ضحيتها الجيش العراقي ، و الكثير من الناس ومنهم (أمل) زوج باسم الضابط (بطلا الرواية) ، ومضايقة السلطة للناس بممارسة هيمنتها السياسية والسلطوية، واخيراً انسحاب الجيش العراقي بعد تلك المعركة الخاسرة ، لم تنتج سوى القتلى والشهداء وتبعثر الحياة العراقية ، وهذا ما سيتضح جلياً في تقصينا لنصوص الرواية.

لم تكتفِ الأنظمة السياسية في العراق ، من ممارسة ضغوطها وعنجهيتها في الحكم ، وغير مكرثة لأرواح شعبها ، فهي تخرجهم من حرب وتزجهم في حرب أخرى ، ومن هنا نلتمس استمرارها بهويتها المركزية المستبدة برأيها وأراءها ، ويتمثل ذلك في المقطع السردى على لسان بطل الرواية باسم ((بعد مصائب حرب إيران لم نكن نعتقد أن تقوم حرب أخرى ، ماذا جنينا منها ، حتى ندخل في حرب جديدة ، لقد الان لم نصدق اننا نعيش في سلام بعد ثماني سنوات عجاف التهب بالنيران والرصاص وناشيد الحرب والعسكرة))^(٢٩).

وفي مورد آخر من الرواية جاء أيضاً على لسان بطل الرواية الضابط باسم، عندما ودعته زوجته أمل وهو يلتحق إلى وحدته العسكرية ((عندما ودعتني عند عتبة باب دارنا في الحلة وأنا أأغار لأستلم منصب أمر وحدة عسكرية وسط (محافظة الكويت) ، إذ رأيت اليأس والدموع الثقيلة في عينيها، قالت : انكم ذاهبون إلى نار (صدام وبوش) فيسلمان هما وتحترقون أنتم))^(٣٠).

عبر هذا النص السردى ، نلتمس أطراف معادلة الحرب المتمثلة بصدام ، الذي يمثل الهوية المركزية الحاكمة في العراق ، وبوش الهوية الحاكمة لأمريكا، فضلاً عن ذلك يكشف لنا هذا المقطع السردى ، عن المكان الرئيس لبطل الرواية وهو (الحلة)، والمكان الرئيس الذي سوف يحتدم فيه صراع الحرب وهو (الكويت) ، فضلاً عن ذلك أراد الروائي هنا ، ان يثبت لنا بأن

نيران الحروب لا يحترق بها من قام بها ، فعادة قادة المعارك لا تشترك بنيران المعركة ، وانما تبقى خلف جدران الحكم الآمنة تتمتع بهيمنتها السياسية، والشعب في خط المحرقة الأول ليدفع ثمن أفعالها ، وهذه مفارقة ينتج عنها استبداد هوية مركزية طاغية بالانا ، وآخر مهمش مستبعد يكون وقوداً لتنفيذ رغباتها.

وهذا ما تبرهن عليه الرواية عبر قول الراوي ((من لهذه الأرض من أم تعطف عليها وكتل النيران تتوعدها، أكاد أسمع دعاءً متواتراً في الصباح والمساء أن يكف عنا الاعداء اذاهم فلدينا اعداء من داخل بلادنا يسوقون بنا إلى الحرب من دون غاية مشروعة ومن دون رافة، ولدينا أعداء من الخارج تجمعوا على حربنا وقتل اولادنا الذين لا ذنب لهم سوى انهم عاشوا في هذا الزمن الذي يختلط به الحق مع الباطل.... زمن التسابق لصنع جبالٍ من الفخر الكاذب ، زمن التصارع من أجل بقاء الاقوى زمن يهان فيه الإنسان وهو أكرم المخلوقات))^(٣١).

فهذا النص يكشف لنا عن مدى هيمنة الهوية المركزية ، المتمثلة بالاعداء من داخل البلاد وهي السلطة الحاكمة ، لتهمش الآخر المتمثل بالشعب ، من دون احترام لهويته المحبة لوطنه وللسلام ، وتدفع به إلى نيران المعارك دون أي حجة شرعية ، سوى تثبيت قوتها وسطوتها ، بدافع الحب للبلاد والدفاع عن الأرض ، وهذا هو الحق الذي يختلط بالباطل ، وما سوى الصراع التي تقوم به ، هو من أجل بقائها وتوسيع نفوذها، فضلاً عن الإهانة والمذلة التي تقوم بها على الإنسان الذي خلق ليعيش لا ليموت ، في زمن يُستخدم الإنسان للتطوير والتقدم ، تستخدمه تلك السلطة للتقهر والانحطاط وادوات للحرب ، مما يولد ذلك هوية مبعثرة لدى المجتمع ، لا تشعر بكيانها الخاص عند من يحكمونها.

وهذا ما تؤكد الرواية في قول الراوي ((تعطلت مسيرة الحياة ، وتعثرت الخطوات وما كان على هذا الأرض من حرية ونعيم زالا بغمضة عين ... بنضرة من عين حسود ، وبرغبة مجنونة لأنسان ، وبسلوك لسانة لم يحسبوا للعواقب شيئاً ، في دول العالم المتمدن السياسة تخدم الإنسان والسياسيون يتبارون في تقديم الأفضل من الخدمات التي تزيد من الرفاهية والحرية، وعندنا السياسة تسحق الإنسان ، وتزرع دربه أشوكاً، وتملؤ أيامه معضلات))^(٣٢).

ففي هذا النص المروي ، الذي صاغه الروائي ، بلغة بلاغية محكمة ، تتضح عواقب هيمنة الهوية المركزية واستبدادها ، إذ بسبب افعالها الدنيئة ، انعدمت الحياة ، وتوقفت عجلة التطور لا على مستوى إقامة الحرب فحسب ، إذ لا حرية ولا أمان ولا رأي في ظل ديمومتها ، حياة مغلقة لا يأتلف معها الإنسان ، ولا يأخذ الساسة العبرة والموعظة من المنافسون لهم من

ساسة دول العالم الأخرى ، الذين يتبارون في بناء بلدانهم وتأمين حياة شعوبهم ، ولكن العزة بالإثم اخذت منهم مأخذاً كبيراً ، فيكشف النص ، عن المضمرات النسقية للهوية المركزية السلطوية ، التي حطمت هوية الآخر (الشعب) وقتلت روح الطموح فيه ، وجعلته أسير الأحلام وهو يتطلع إلى حياة ما حوله ، بفعل تصرفاتها الهجينة.

وفي موطن آخر من الرواية ، يميظ الروائي اللثام عن الأساليب الوحشية التي كانت تمارسها السلطة الحاكمة على المجتمع ، والذي جاء سردها على لسان إحدى شخصيات روايته ابو علاء ، الذي بدوره اسرد لباسم بطل الرواية حدث حصل مع إحدى الشخصيات يسمى (عبد الرزاق العلي) ، إذ سرد ذلك الحدث بتقنية (الFLASH باك) والسبب في سرده تلك القصة ، خوفه من أن يحصل معه مثلما حصل مع عبد الرزاق ((ابو علاء : تماما قبل شهر من الان اعتقل عبد الرزاق العلي ، لا لشيء ، سوى وجدوا سيماء على جبهته من أثر السجود ، بعد منتصف الليل بقليل يقول عبد الرزاق : في ليلة هادئة...ومازلت راقدا على وسادتي دخلت عليّ ثلاث فوهات رشاشات... ثم تبينت ملامح ثلاثة جنود خلفها... صرخ بي اوسطهم انهض يا فلان وقف في مكانك لا تتحرك والا اصبحت رماداً...يقول عبد الرزاق : عندما اعتقلني ازالام الحكومة وطلبوا مني افادتي...عجزت أن اقنعهم بحجة كان كلامي مضطرباً يسيطر عليه الخوف...مما دعا بالضابط الذي يحقق معي ..أن يقول كلاما لم اشك انه سينفذه بدقة...عبد الرزاق، افهمني، واضح انك لم تعترف بشيء من تهمة جلبناك من أجلها... اقسم لأجعلنك غدا ترة نجوم الظهر بعينيك اذا اصررت على عدم كشف الحقائق...هذا اذا بقيت لك عيون تبصر بها، ابن الكلب، انهض آلى الزنزانة وفكر جيداً بحالك...وركلني بحذائه على خاصرتي. واصدر أمره إلى الجلاوزة ، هاكم هذا اخذوه إلى الزنزانة رقم ٥ وغداً احضروه ، فهناك الغرف المملوءة ماء...حتى تشعر التيار الكهربائي الموصل فيها يدخل جسمك المتعب..أو يقومون باجلاسك على قنينة المشروبات الغازية الزجاجية وقد كسروا عنقها، أو تعلق بالمروحة فتدور معها بريشة رابعة حتى لا يبق لك لب ، فتنادي الرحمة..انزلوني اعترف لكم..وحتى لا تضمن رجوعك الى غرفة التعذيب تتكلم بما يرضيهم من اعترافات قد تكون بعيدة عن الحقائق... تلفت يمينه فسمع الأنين والصراخ من أناس غيرك يتعذبون...))^(٣٣).

وهنا تبرز الأدوات النسقية التي توظفها السلطة الحاكمة ، بصورة أكثر دقة ووضوح، كالاغتيال، والعنف، والتعذيب، والإهانة ، والاذلال ، وانتهاك هوية الآخر، بوصفها أساليب لضرب الخصم ، فهي ترى أن وجودها لا يستقر الا بالقضاء عليه ، حتى يصبح العنف والترهيب

علامة قوة وهيمنة على الآخر، وهذا من أولويات الهوية المركزية المتمثلة بالنظام ، إذ ما شعرت بأن هنالك جنس لا ينتمي إلى أيديولوجيتها ، فهي تعمد له تهميشه وإقصائه ، حيث لا يسلم أحد أو يأمن إلا بالانتماء إلى ذلك النظام ^(٣٤) . فهي تقوم بذلك لأسباب مختلفة على رأسها عدم الثقة بالمجتمع ، وأن يصبح الخوف من النفس والخوف من الآخر هو القاعدة الأساس ^(٣٥) ، لأنها تحظى بكافة الصلاحيات التي من حقها اتخاذها ضد من يعارضها ويعارض وجودها ، فتأخذ تدابيرها وإجراءاتها ضده لتحافظ على مكانتها المركزية في المجتمع ، ناهيك عن إجبار الآخر على (الوشاية) ^(٣٦) تحت سطوة التعذيب ، فهي تقوم على سياسة (فرق تسد) .

وفي مقطع سردي مشابه لما سرده الروائي في رواية لا نبكي غدا ، يسرده في رواية (كان لي قلب) ^(٣٧) ، بأن ما يحصل من حروب ودمار ، ليست من صنع الشعب ، بل من صنع الحكومات المسيطرة على دكت الحكم ، إذ جاء ذلك على لسان بطل الرواية باسم ، الذي لم يهن عليه أن يرى آبار النفط الكويتية وهي تحترق ((نحن نفجر هذه النعمة الكبرى التي وهبها الله للناس مسخرة في خدمتهم ، خدمة لنزوات السياسة .. كفر بالنعمة وتعدي على الحقوق. ليغفر الله لنا نحن مأمورون. ونحن نقوم بهذا العمل ليس بالضرورة قد توفرت لدينا القناعة به .. وهذا أشد ما يواجه الإنسان العسكري في دول العالم ومنها جيشنا ، تكون صاغراً لعمل شيء لا يرضى به ضميرك الحي)) ^(٣٨)

ومن خلال هذا النص ، نلتمس الايديولوجيات التي تتبناها الهوية المركزية الحاكمة ، لتفرضها على الآخر، ولا يشترط في ذلك توفر القناعة لدى الآخر المغلوب على أمره، فهو أمر مفروغ منه ، فهي تتبع سياسة (نفذ ثم ناقش) ، وهذه المفارقة الكبيرة التي تتمثل (بالانا / الأمر) و (الآخر / المنفذ) ، ينتج عنها ارتباك بالهوية لدى من يقومون بتنفيذ أوامر مفروضة عليهم ، يشعرون بأنها لا تتوافق مع شعورهم الإنساني والاخلاقي ، وهذا أشد ما يتعرض إليه الإنسان الذي خلقه الله في هذه الحياة مخيراً ، ومن ثم لا يشعر بهذا التخيير بسبب قوة التسلط عليه أذ تجعله مسيراً . تحت ثقافة التسلط ونفي الآخر من لدن الهوية المركزية ، التي تتجلى رغبتها في التحكم التام بالآخرين ، وفرض الأفكار والسلوكيات التي تعتنقها عليهم . ^(٣٩)

وكذلك الأمر سيان في رواية (عفواً أيئها ها الشمس) حيث لا تخرج الهوية المركزية عن نمط تمثيل الأنظمة السياسية الحاكمة . وهي رواية تتناول وتستكشف غزو العراق من قبل الأمريكان والآثار السياسية والاجتماعية التي أثرت على واقع البلد، فضلاً عن الأساليب الوحشية والقمعية والخراب والدمار الذي لحق أبناء المجتمع العراقي ، وملتزم إشارة دلالية لذلك الغزو

من خلال إهداء الرواية (شهداء العراق الإجلاء جراء الاحتلال)^(٣٨) ، إذ تمثل كل الإشارات الواردة في الرواية إلى بعد ذات قيمة دلالية ترتبط ارتباط وثيق ببناء النص الأدبي.

فضلاً عن ذلك ما يوحيه (غلاف الرواية) الذي يحتوي على لوحة فنية فيها أكثر من دلالة ورمز ، إذ اجتمعت في هذه اللوحة الكثير من (القطع البشرية / أيادي / عيون / اقدام / وجوه مشوهة / حياة انسان ضائع)، وهذه كلها دلالات رمزية على أن الإنسان محارب ومستغل ومستعمر ، وهناك صراع بين الحق والباطل يجسده ذلك الاحتلال في العراق .

إذ جاء سردها على لسان (أحمد وسارة) بطلا الرواية الرئيسان ، و(حسن عبد القادر وهدي) بطلا الرواية الثانويين ، وتدور أحداث ذلك الغزو في عموم العراق ، إذ يقول الروائي ، العراق هذا البلد الجميل بشعبه العريق وحضارته الموعلة في التاريخ وخيراته ، تقطعه الشمس من شماله وجباله وسهوله ونخيله واهواره ، دنيا من الخير والسلام ، والشمس نفسها ، ولكن الحال هذه لم تدم فقد دخل الاستعمار وعبث بمقدراته ونهب خيراته وفرق بين طوائفه ، وأشاع التفرقة بحجة إزالة نظام دكتاتوري يحكمه ، وكلف هذا آلاف الشهداء من أبناء الشعب^(٣٩) ، حتى بدأ الكاتب بأسلوبه المذهب الذي يبدها ب(عفواً) وكأنما يقول لها : كانت بلادك قبلة الخير والبركات والفكر المستديم وكنا نفرح بإشراقتك ، واليوم انتِ تشرقين على بلادٍ أصبحت حطاماً بفعل المستعمرين والمنافقين ، حتى أصبحنا نرى غروبك أيتها الشمس من دونما شروقك ، انها رواية تكشف هيمنة الأمريكان واستبدادهم وتزيح الستار عن جرائمهم بحق الشعب .

ويظهر هذا الأمر جليا في الرواية ، على لسان إحدى شخصيات الرواية الاستاذ محمد الفيلسوف ((بدأ العراق عقب خروجه من الكويت مطلع العام ١٩٩١ مسرحاً لفرق التفتيش الدولية المتعاقبة ، والتي ارسلت رسمياً من قبل الأمم المتحدة ، وواقعياً من قبل الولايات المتحدة الأمريكية بخبراء إسرائيليين ، الهم الأول والآخر لهم ان لا يمتلك العراق سلاحاً نووياً ، ولا حتى رصاصة مسدس ، وأن يبقى متخلفاً مشرذماً وان يصار بأية طريقة من الطرق إلى تقسيمه وإثارة النزعات الطائفية بين أبناء شعبه ، والضغط على الشباب لإبعادهم عن الحماسة الوطنية التي كانت موجودة في نفوس ابنائه جميعه ... فبدأ الحظر الاقتصادي والسياسي والثقافي الشامل على العراق ، وتحديد حركة قطعاته العسكرية ، وعدم السماح بتسليحها... لقد مارست تلك اللجان دوراً تخريبياً طيلة مدة عملها في العراق... وكان من أولى مهامها افتعال الازمات من أجل إطالة امد الحصار ، من خلال ادعائها بوجود أسلحة للدمار شامل))^(٤٠)؛ في ضوء هذا النص ، يمكن الإشارة إلى أن زمن الروي ، هو بعد انتهاء الحرب العراقية الكويتية ، ويبدو أن

الحرب تركت بصماتها في ذهن الروائي ، واثرت فيه تفكيره ، مما جعله أن يضمن روايته الثالثة حدث سياسي آخر ، مشيراً بذلك أن العراق لم يتخلص من قوة الهيمنة والتسلط الذي تدار على أرضه وشعبه .

إذ يكشف لنا النص بأن الهوية المركزية تتمثل في (الولايات المتحدة الأمريكية) بسواعد إسرائيلية ، وهو الغزو الذي يعرف (بالصهيرو - أمريكي) وهما وجهان لعملة واحدة ، الذي يريد فرض هيمنته وسياسته على الشعب العراقي ، وفي الوقت ذاته تتضح الحيل النسقية التي جاءت من خلفها تلك الهوية المركزية ، التي تتخذ من العدالة واحترام النظام غطاءً تتوسل به ، لتمير انساقها المضمرة ومغزاها الايديولوجي ، وهو البحث عن أسلحة الدمار الشامل وفرض الأمن وماشابه ذلك، الا انها تريد من خلف ذلك كله ، استلاب الهوية العراقية وتشتيتها ، والتسلط على الآخر ، واضعاف ثقافته ، وتشتيت ابناءه ، والغترسة والتعالي على بسطاء الناس ، واحتقار الجنس البشري ، والاستحواذ على كل شيء ، كما وصفت لنا الرواية الصعوبات الكبيرة التي تعرض لها الشعب العراقي، وما عاناه العراقيون خلال تلك الفترة المعادية، فقد أعادت إلى أذهاننا أيام الحصار وتقليص دور الجيش، بهدف تعزيز سيطرتها الاستبدادية ، وهذا ما ذكرناه انفاً بأن الهوية المركزية حينما تُريد بسط نفوذها ، تضع كل شيء خلفها وليست أمامها ، بهدف إلغاء دور الآخر وتهميشه.

وعلى هذا المسار تسير الرواية ، كاشفةً الأوضاع المأساوية التي كانت يعيشها المجتمع ،جاء القصف الامريكي العشوائي ((الانباء تتولى عن الهجوم، والشوارع لا تحفل بهذا قبل وصول نار الحرب لكل مدينة ،... المحال نصفها مغلق ..تعطيل للمدارس والدوائر وغلق للحدود، طائرات تملأ السماء ، هديرها يسحق النفس والافاق ، يسدد الطيار رميته بمؤشر لا يخطيء الحساب ، ثم وبللمسة زر صغيرة ، تنطلق كتل محمومة من الجوانب يحرق الزمن والمقرات والمصانع والبيوت ، أو عائلة اجتمعت على العشاء قد دفنت في ثوانٍ معدودة...في بيتهم الذي كان يؤويهم وهم احياء والان اصبح قبراً جماعياً لأجسادهم وأشياهم وكلماتهم التي لم تكتمل بعد بسبب سقوط الصاروخ وبسبب سقوط اخلاق أهل الحرب، فهذا كله اهون من أن تلامسه النار فيبقى مشوهاً العمر كله يعاني من الكروب ، أو تموت عائلة بأجمعها ويسلم هو ، فلا يسلم من هم وحسرة تأكل دنياه حزناً على افراد عائلته))^(٤١)

في هذا المقطع المتداخل بين السرد والوصف ، يصور لنا الراوي مشاهد جرائمية للاحتلال ، الذي يريد فرض سطوته بالقوة والعنف ، عبر استخدام السلاح الجوي ، كوسيلة تعبيرية عن

قواه ، أذ تعطل مجرى الحياة ، وعمت الفوضى ، وأصبحت الحياة معدومة ، ولا تعلم في أية لحظة يُدرك الموت ، ناهيك عن آثار الدمار ، ومشاهد القتل المروعة التي تسببت بقتل آلاف العراقيين من قبيل الذات الغربية ، التي تريد هدم هوية الآخر العراقي ، واستلابها وجعلها مشتتة ضعيفة لا تقوى على مقارعة الهوية المركزية المتمثلة بالمستعمر الأمريكي ، إذ تُعد " الأجهزة القمعية عتاد الدولة أو النظام الحاكم في ممارسة التحكم والهيمنة على الأفراد بواسطة العنف والقمع والأجهزة المكشوفة "(٢)، وهكذا يصبح مصير الذات العراقية تحت سلطة المحتل الأمريكي ، الذي يسعى إلى إبادة الهوية العراقية ، ويغفل حقوقها في العيش الكريم بوطنها الأصلي.

وبصيغة سردية أكثر وضوحاً ، تبحر الرواية في كشف هيمنة الهوية المركزية وتغلغلها بين افراد المجتمع ، ويظهر ذلك على لسان الأستاذ محمد الفيلسوف الاكاديمي في محاضرةٍ القاها على طلابه ((في التاسع من نيسان عام ٢٠٠٣ أعلنت القوات الأمريكية بسط سيطرتها على معظم مناطق العراق، وتم إسقاط تمثال الرئيس العراقي السابق صدام الذي هرب إلى جهة مجهولة ..وانهارت الحكومة العراقية ثم بدأ اختيار حاكم مدني أمريكي للعراق بول بريمر... وتغلغت القوات الأمريكية في كل مدن وقصبات العراق ...بدأ بعض الناس الذين كانوا متحمسين لزوال النظام السياسي السابق، يستقبلون المدرعات الأمريكية ، بفرح ، ويقتربون منهم...وفجأة هدرت اصوات ثقيلة لعجلات يتبين انها مدرعات أمريكية تسير متقاربة في الشارع المجاور لكليتنا ، يحمي بعضها البعض ، وقد هرع إليها صبية من بيوت قريبة ، رأيت إحدى المدرعات تقف ويخرج السائق سلة صغيرة من البلاستيك فيها بقايا من الطعام ومصادر، مد يده واعطاها للأطفال فافتسموها فرحين، كأنما نزلت عليهم من السماء... من أموالنا بدأ الغرباء المحتلون يتصدقون علينا ، عرفوا كيف يذلون أهلنا ، ويجعلون بعضا منهم يقبل بالهوان...)) (٣)

يكشف لنا هذا النص السردى المحبوك تاريخياً ، سنة (٢٠٠٣) وهو تاريخ واقعي مشؤوم ، إذ سقطت فيه العاصمة بغداد على يد الاحتلال الأمريكي ، وفرض هيمنته على دكة الحكم .

كذلك يصور لنا الروائي ، هيمنة السلطة الامبريالية الأمريكية ، وكيفية تغلغلها بين افراد المجتمع العراقي ، متخذة من إقامة العدل ونشر السلام حجج لتمرير احتلالها الغاشم ، لاسيما وهي تقوم (بتهديم تمثال الرئيس السابق للعراق) ، في إشارة لتخليص الشعب من الحكومة الدكتاتورية التي عاثت في الحكم فساداً ، الا انها تريد بذلك الفعل انتهاك سيادة العراق، لكونه يمثل رمزاً لحكومتها، في الوقت الذي يعد الشعب الايام والساعات لزوال هذا النظام ، فكأنما جاء

ذلك الفعل كإطلاق سراح متهم سجن منذ آلاف السنين ، فدخلت أمريكا من نقطة الضعف هذه ، فضلا عن قيامها بتوزيع الاطعمة والهدايا على الشعب ، (كأنما نزلت عليهم من السماء) في إشارة سيمائية ، عن الحرمان والجوع الذي تعرض إليه المجتمع العراقي ، جراء الحصار الاقتصادي ، وكثرة الحروب ، وسوء السياسات التي لعبت بمقدرات الشعب، لذا فهي تريد بذلك أمرين: الأول: تبرير أفعالها الوحشية في بداية الاحتلال من قمع وقصف الطائرات بحجة ملاحقة الإرهابيين ، والثاني : زرع السلام في نفوس أبناء المجتمع، كي تحظى بمقبولية واسعة ، تمكنها من بسط نفوذها بأريحية مطلقة، وهي محاولة لاستغلال الشعب ، فهي تحاول " ان لا تظهر بصورة المحتل وتجهد وفق ما تسمح به معايير الأمنية لتثبت صورة المنقذ وليس المحتل، فهي بحاجة ان تظهر نفسها أمام العالم ليست دولة غازية أو استعمارية جديدة ، وخاصة انها لم تثبت أن لدى العراق أسلحة دمار شامل ، وأن تنجب تطور روح المقاومة لدى الشعب العراقي " (٤٤) وهذا ما تؤكدته الرواية في قول الراوي ((يقول الجندي الأمريكي انطوان جاد ، اعتقد أن وراء الحرب هذه النفط ولا شيء غيره ، الفوضى تعم وتنتشر في العراق ... ويقول لي ليث الشاب العراقي الذي ادخله الأمريكان دورة مكثفة لتعلم اللغة الانجليزية وأصبح بعد مدة يتكلم بها بطلاقة ويذهب معهم في واجباتهم: كنت أشعر بالمهانة ، وانا ادل هؤلاء المحتلين على أناس مطلوبين لديهم لأنهم يقاومون الاحتلال ... كانت اجورهم الشهرية مغرية يدفعون لنا بالدولار ... ويلحون علينا أن نجلب لهم من الشارع نساء سافلات ، وكان يمارسها بعض الشباب التافهين عندنا ، وقد بدءوا يتخلقون بأخلاقهم، هجروا لغتهم العربية وتكلموا الانجليزية حتى مع العراقيين ، ويرتدون البسة من نوع الجينز الأمريكي، يتركون شعر رأسهم بقصات غريبة ، عند حلاقين معهم في وحداتهم العسكرية . ماذا تبقى من حقوق للإنسان في هذا البلد ؟)) (٤٥).

لذا فإن عملية الهيمنة من قبل الهوية المركزية المتمثلة بالمستعمر الأمريكي ، واضحة عبر هذا المقطع السردي ، والسبب وراء الغزو يكمن في نهب ثروات العراق وسرق خيراتهِ ، من النفط وماشابه ذلك ، فضلا عن تبعر الهوية لدى بعض افراد المجتمع ، بفعل انخراط الشباب العراقي المغرر بهم بالمال وغيرها من وسائل سياسة الترغيب التي يقوم بها الاحتلال ، للعمل معهم (كعملاء) لان أصحاب الأرض يعرفون جيداً مداخل ومخارج المدن والمناطق ، لذا فقد استعملهم الاحتلال وسيلة ، للوصول إلى غايته المطلوبة ، للقضاء على المعارضين ، وبفعل هذا التصرف اصبح الآخر في قبضة الانا الغربية ، تتصرف به كيفما تشاء وتريد ، فضلا عن (انسلاخ الهوية) لدى بعض افراد المجتمع ، بفعل اكتساب لغتهم وهجران عربيتهم ، وتقليد

سلوكياتهم الشخصية المشينة في الممارسات اللاأخلاقية ، وهذا ما تروم إليه الهوية المركزية ، هو السيطرة على الآخر ، وإلغاء دوره في كل شيء ، كي تكون الهيمنة (للأنا) لا غير . وفي الاتجاه نفسه تذهب الهوية المركزية للمستعمر ، في تدنيس ارض العراق بأفعالها القبيحة ، من ممارسة الانتهاكات الإنسانية ، والقتل والفوضى كما في قول الراوي ((بعد أن ملأ العريف " ب " معدته بسطل من مياه مسكرة تناول حبة بيضاء مدورة ذات طعم حلو، تدفع بالدم للأوردة والشرابين في كل اتجاه وتجعل من القلب مضخة عالية من الكفاءة... كانت نوبت خفارته قد انتهت ولن يعود إلى الواجب قبل مرور ثماني ساعات ،... اللعنة سأخرج هذه المرة بمفردي من باب جانبية ضيقة واذهب إلى تلك البيوتات لعلني أجد امرأة تكون لي عوناً على تصريف ما أشعر به من رغبة جامحة...ومشى " ب " يترنح بخطواته الثملة وتصميمه على فعل عَنّ له ، لم يطرق الباب الأول عند أول دار عبر إليها في ذلك المساء الشتائي البارد إذ بدأت تتجمع فيه غيوم سود علق بندقيته في كتفه اليسرى))^(٤٦)

فتكشف الأفكار (السريالية)^(٤٧) لدى الهوية المركزية الاستعمارية ، الذي يمثلها في هذا المورد العريف " ب " ، وباء ، علامة سيميائية عليها تشير إلى الحرف الأول من اسم ذلك العريف ، وأراد الروائي إخفاء اسمه الصريح تجنباً للتشهير ، بسبب الفعل الدنيء الذي سوف يقوم به ، والعرب تقول (التلميح أبلغ من التصريح) ، فبعد الهيمنة والتسلط التي حظي بها الاحتلال، بدأ يرى كل شيء مُباح له ، بغض النظر عن هوية الآخر العراقي الإسلامية ، التي لا تسمح بتلك الأفعال الشيطانية ، وحمله للبندقية كمصدر قوة يمكنه من فعل ما تريده أفكاره الملعونة ، او تحسباً لأية مقاومة يتعرض إليها من قبل أصحاب الدار، وفي إشارة (لبدء تجمع غيوم سود) دلالة على جريمة بشعاء ، لا تمت للأسانية بصلة سوف تحدث ، كما في قوله أيضاً ((وبقوة رفس باب الدار فأصدرت صوتاً كصوت استغاثة الغريق ، دخل منعطفاً إلى غرفة الضيوف فوجدها فارغة... دفع باب النوم بيده هذه المرة لأنها لم تكن مغلقة تماماً نهض ابو عبير رب الأسرة مذعوراً وهو يرى قبائلته رجلاً غريباً بوجه احمر كذيل الثعلب... زاد من قلقه لما عرف انه من الجنود الأميركيين ببيزته العسكرية ولغته الإنكليزية ومن دون أي خجل أو رادع اخلاقي ايقظ الفتاة الشابة الصغيرة بسحب يدها إليه بقوة كانت ترقد مع امها وابيها ... فرزت الفتاة وصاحت الأم ووقف الاب مشدوها ينتظر ما يفعل هذا الشيطان ، وقع في تصوره انه يبحث عن أسلحة أو وثائق يطلبها ولم تمض سوى دقائق معدودة على جو تراحم فيه الخوف والقلق والترقب، لحظات شعرت خلالها هذه الأسرة الصغيرة ، ان هذا الرجل المسلح لن يخرج

من دارهم من دون أن يحقق شيئاً جاء من أجله... حصر الجندي "ب" رب الأسرة والأم في غرفة النوم وأصر على اخذ وضع الاستعداد... وهو يمسك بندقيته مصوباً أيها تجاه هؤلاء... كان اصراره على سحب عبير وادخالها إلى غرفة النوم الملاصقة لهذه الغرفة وحركته معها ، قد ادخل الشك لأول مرة في عقل ابيها ، ان هذا الملعون جاء لهذه الغاية صرخ الاب! أين تأخذ بابنتي أيها الكلب دعها في مكانها... قل سنعطيك ما تريد إلا شرفنا...))^(٤٧).

وهكذا تتكشف الأساليب الوحشية لدى المركزية المهيمنة ، التي مارستها ضد أبناء المجتمع العراقي بكثرة في مدة ذلك الغزو ، والتي تصرح عنها شخصية العريف "ب" من غير إحترام لهوية الآخر ، وانتهاك الحقوق الإنسانية ، وعدم الاكتراث لقوانين هذا البلد وخصوصيته ، فضلاً عن ذلك تنكشف لنا الازدواجية التي تتمثل بها المركزية المتسلطة ، التي تبرر أسباب وجودها داخل البلد هو من أجل الخلاص من الدكتاتورية وأن تعم الحرية ، لكنها تمثل دكتاتورية وانتهاكا للحريات أكثر من سابقتها ، ناهيك عن استخدام السلاح ضد الناس العزل ، واستخدام التهريب العنقوي من أجل اخضاع الآخر استجابة لنزواتها، فيما يكشف النص أيضاً ، عن النزعة الوطنية في شخصية (ابو عبير) وهو يحاول الدفاع عن شرفه ، في لحظة الاحتدام مع الغربي ، رغم قوة الهيمنة التي يتمتع بها ، والموقف المصيري ، يعلن تمسكه بهويته ، ولا يسمح بانتهاكها ، ويرفض الاستسلام لإرادة ذلك المحتل .

ويمضي الراوي في كشف النتائج التي ستؤول إليها أفعال ذلك العريف (الزنيم)^(٤٨)، وكما في رويه ((... اشتد الكلام بين (العليج)^(٤٩) وابو عبير ، علا كلامهما في جو الغرفة من دون أن تكون هناك وسيلة للتفاهم إذ كلاهما لا يعرف لغة الآخر، لكن النوايا الشريرة لهذا الجندي باتت مقروءة لصاحب الدار ، بل لأم عبير التي خطت باتجاهه خطوات شجاعة ، وكأنها تريد أن تمسك بيده... دفعها بعنف سقطت على ظهرها اتبعها برفسة من قدمه اليمنى ، اشتعلت نزعة الغيرة في نفس ابي عبير.. خطا تجاه الجندي .. لم يسمح له أن يمسك بشيء من جسمه .. ام عبير مازالت ساقطة على الأرض.. مغمياً عليها ! بصق ابو عبير عليه من بعد .. خرجت عبير من غرفتها لم تحتمل بقاءها داخل الغرفة والداها يدخلان في معركة مع هذا الرجل الغريب اخذت حذاءً ... وقذفته باتجاهه عندها ايقن أن الأمر الذي جاء به لن يتحقق، انتصر لكرامته كرجل وكعسكري يجب أن يهاب ويطاع.. لم يستسغ اهانتته من ثلاثة افراد غزل وهو المارد الشجاع أمام نفسه ، رأى رجوعه وتراجع خسارة كبيرة عليه ... لم يكن يتوقع أن يجابه بهذه المقاومة الباسلة من عائلة عراقية شريفة... كانت الارجحية عنده أن يتخلص من هذه العائلة

...وفي لحظة غياب لمجد الإنسانية وكرامتها كانت اطلاقات " ب " العشر تخترق أجساد معذبيه متهاوية في غرفة نومهم الأبدية..وعم السكون المكان ... لم يكثرث.. لم يساوره الندم ..لم يخف من عقاب إلهي.. كانت الدنيا غايته الأخيرة.. يتجرد الإنسان من انسانيته فيصبح بهيمة ((^(٤٨).

ففي هذا المشهد الدرامي ، الذي يوحي عن نشوب معركة غير متكافئة الأطراف ، بين (الانا) الغربية ، التي تريد الاستحواذ وفرض الهيمنة ونوازعها على (الآخر) العراقي وتهميشه ، وتغييب شمس الحريات بعتمتها القاتمة ، معركة انعدم فيها احترام الذات ، وانتهكت فيها خصوصية المجتمع ، هدفها القوة ونفي الآخر ، ونتائجها القتل المروع ، واشاعة الفوضى ليكون العنف والترهيب رمزاً لسطوتها ، فالهوية المركزية الباغية في هذا النص ، مارست كل اساليبها الوحشية والقمعية ضد أبناء المجتمع ، واستلاب هويته مهما كان نوعها وانتمائها ، لتجعلها هوية مقيدة وثابتة غير ديناميكية ، كما ذكرنا سابقا في بداية تنظيرنا لها ، لذا أراد الروائي عبر هذه الشخصية الرمزية السيكوباتية "ب" ، أن تكون أنموذجاً تمثل مركزية الاحتلال ، والتي يفصح في ضوئها ، عن تصرفاتهم بكل اطماعهم ورغباتهم الهجينة اللامشروعة ، بحق اخر مهمش اعزل ، وهي بذلك تحاول رفض الهوية العراقية المبنية على اسس وثوابت قومية ومجتمعية لتفرض هوية (التمريك)^(٤٩) التي تعد احد أشكال الهيمنة الثقافية.

لذا تبقى هذه القصة الواثبة داخل النص الروائي ، شاهد إثبات على سقوط وتردي جنود الاستعمار ، وهم لا يراعوا لهذه الشعب إلا ولا ذمة ، لقد أجاد الكاتب الطائي في حبك حدثها ، بلغة بلاغية ، وصورة أدبية ، فجعل القارئ في قلب هذا الحدث المؤلم .

أما رواية (وكان أمرا مقضيا) لم تخلو من الهوية المركزية ، لكنها لم تكن طاغية بشكل واسع على جو الرواية ، فهي رواية اجتماعية بحثة ، عالج في ضوئها الروائي القضايا الاجتماعية والانسانية والدينية، والحديث عن ثنائية القرية والمدينة وطبيعة علاقات العيش فيهما ((مجتمع المدينة فيه شيء من الحرية ، ولكن لا يتساهل مع التصرفات غير اللائقة...، علماً عائلتنا في الريف هي عائلة حضارية فأبي مدير مدرسة وامي واعية))^(٤٩) ، والعادات والتقاليد السائدة في المجتمع العراقي ، فضلاً عن ذلك الحديث عن ظلم الفلاحين من قبل النظام الاقطاعي ، وهذا ما سوف نبينه في الهوية المركزية ، وثورة رافضة للملكية ، ومجيء العصر الجمهوري، ((حدثت ثورة في العاصمة تم فيها الاطاحة بالنظام الملكي وقتلهم في قصرهم وإقامة النظام الجمهوري))^(٥٠) والنوازع النفسية الشهبونية ، وايتار الزوجة الصالحة وتضحياتها ((نعم

يا عادة .. أشكرك وأظن أن أمك لا تقل شأناً في المجاهدة، فقد ذهب أبوكم إلى دار البقاء مبكراً ، وبقيت عليكم صابرة محتسبة أنت واخوك حسن ، ويعجبني منها ذلك الوفاء الرائع لأبيك فهي لم تفكر بالزواج مطلقاً بعد وفاته))^(٥١)، وعالج الروائي أيضاً قضية مهمة في المجتمع وهي (قضية التبني) ، التي تحكي عن حياة طفل ضائعة بسبب عدم مقدرة اهله علي تأمين حياته المعيشية ، بسبب الفقر الذي خيم عليهم)) (...ماذا اعمل لزوجي على فقره والحالة البائسة التي نعيش بها في الريف يحب كثرة الاولاد فلم يكفه خمسة ... ليس عندنا من المال ما يستر عورتهم، ... واصر أن انجب السادس ، أين اضعه وماذا اعمل به ... هل تعرفين يا أمة الله أهل بيت يكفلونه ... قلت على الفور : نعم سيدتي .. انا اكفله .. فناولتني الوليد))^(٥٢) ، فضلاً عن ذلك ، الحديث عن صراع عرقي تاريخي وديني اطرافه (إسرائيل _ فلسطين)) (صراع عرقي تاريخي وديني ، هذا الذي يقوم ويخمد بين العرب وإسرائيل ... العرب يرون في إسرائيل مغتصبة لأرض فلسطين ، وإسرائيل ترى أن فلسطين هي مهدهم ووطنهم))^(٥٣) وهكذا فقد عالجت الرواية قضايا مهمة في المجتمع، إذ جاء سردها على لسان (صالح ابو حسن) بطل الرواية الرئيس ، و (المحامي قحطان والمدرسة عادة) بطلا الرواية الثانويين .

لذا فإن الهوية المركزية في هذه الرواية ، تتمثل في (النظام الاقطاعي) الذي يمثله (الحاج عبد الله القيم) ، و (الوكيل علي) المخول من قبله للإشراف على الأراضي وعمل الفلاحين ، وهذا ما كشفه الحوار الذي دار بين صالح بطل الرواية وزوجه شيماء ((من خلال عملي معه هذه السنوات لا يحبذ كلاماً يقال عن الأجر والاجور ، فيبدو على وجهه التجهم ، ويسكت عن الكلام حتى وان كان مهماً ، احياناً يقول كلمة في اجاباته لهذا السؤال لا نفهم منها شيئاً ، فنتحاشاها ، لئلا يأخذ علينا نظرة أننا أناس همنا الأول المادة وليس العمل ، وهذا يبقى في خاطره حتى إذا صادف والتقى بأحد الفلاحين الذين لا يسألونه الحافاً عن اجورهم يكون قد قبل بهم بالعمل في مزرعته وبدأ يستغني عن الفلاحين القدامى واحدا تلو الآخر . _ علينا يا أبا حسن اذا أن نسكت ونلهم التراب حتى يجد الله لنا حلا وتصبح عندك أو عندي وظيفة عند الحكومة تغنينا عن هذا التعسف والاستغلال))^(٥٤)

ففي هذا النص الحواري ، نلتمس الايديولوجيات التي تتبناها الهوية المركزية المتمثلة بالنظام الاقطاعي ، الذي يتسم بالتعالي والانا الطاغية ، والاستغلال الجاثم على طبقة الفلاحين المهمشين من قبله ، والواضح بأنه يأخذ ولا يعطي ، والتخلي عن الفلاحين المطالبين بأجورهم نتيجة ما يقدمونه من خدمة في الاراضي العائدة له ، مما يؤدي ذلك إلى استلاب هوية الآخر)

(الفلاحين) ، من قبل ذلك النظام الذي يقوم على علاقات عمل لا يكسبون من خلالها أجور ولا منفعة مما يقومون بزراعته من المحاصيل ، إلا الشيء اليسير الذي يسدون به قوة يومهم ، بينما يذهب وارد المنتج الزراعي كله إلى مالكي الأرض^(٥٥) ، فينعدم مبدأ التكافؤ بين الانا والآخر ، في طبيعة العمل ، مما يولد هوية مستلبة ومبعثرة لدى الآخر، تعيش على أمل طويل يسكن النفوس المستلبة، بإنبلاج فجر جديد ، يعيد الحقوق إلى ناصبها طال الزمان أم قصر . وهذا ما تبرهن عليه الرواية ، في الحديث عن المفارقة بين صاحب الأرض ومالكها أو الوكيل لمخول بأدارتها ، وتحديد الوكيل " علي " ((فهو يعمل وكيلاً للسركال الحاج عبد الله القيم منذ أربعة عشر عاما خلت يحكم بقبضة فولاذية على العشرات من الفلاحين ويقودهم نحو تحقيق حاصل وفير في نهاية كل موسم زراعي والنسبة التي يحصل عليها من غلة المنطقة جعلت منه من أثريائها المعدودين... فهو يرتدي الملابس الفاخرة التي غالباً ما يكون منشؤها انجليزي...وينثر على ملابسه العطر الفرنسي النفاذ... فيما يكون عطر أهالي القرية التي ينتمي إليها (أن وجد) من النوع الرخيص الذي يسبب الدوار ، وملابسهم اغلبها مرقعة يواصلون ارتداء ملابس الصيف في الشتاء وملابس الشتاء في الصيف نتيجة العوز المادي وتردي الحالة المعيشية والتي تكون مواردها الرئيسية النسبة البسيطة من محاصيلهم الزراعية))^(٥٦).

تتضح المضمرات النسقية عبر هذا النص ، لهيمنة النظام الاقطاعي ، وممارسة الضغط ، والحكم بالقوة على طبقة (الفلاحين) رَدحاً من الزمن ، فيما يحمل النص أنساقاً واضحة ، تتجسد في ثنائيات (الغنى / الفقر) ، و (الملابس الفاخرة / الملابس المرقعة) ، و (العطر النفاذ / العطر الرخيص) ، و (النسبة الثرية / النسبة البسيطة) ، كلها دلالات واضحة تشير إلى هيمنة الهوية المركزية واستبدادها لطبقة الفلاحين ، التي جعلت منهم طبقة فقيرة مهمشة، وجعلت من نفسها طبقة مترفة ، فالانا المركزية تحمل بطبيعتها خاصيتين " من جهة هي في ذاتها غير عادلة من حيث تجعل من نفسها مركزاً لكل شيء ، ومن جهة أخرى مضايقتها للآخرين من حيث انها تريد استعبادهم ، ذلك لان كل أنا هو عدو ويريد أن يكون مسيطراً على الكل "^(٥٧)، ناهيك عن الممارسات التعسفية والإجراءات القمعية بحقهم ، من قبل وكيل السركال علي ، وهذا ما كشفته الرواية من خلال الحوار، الذي دار بين احد الفلاحين والسركال عبد الله القيم ((يا حاج كيف تُريدُ منّا أن نبذع في أعمالنا ...وقد أمرت علينا من يسومنا ذلاً وهواناً على أمور ...تحدث سهواً من دون رغبة منا ، فيأتي أحد وكلائك في المنطقة ليشتم ويتوعد ،

وكأننا عبيد بين يديه ، ثم يهدننا بقطع أرزاقنا وأرزاق عوائلنا وترحيلنا من ديار ألفناها من آبائنا وتعودنا على العيش فيها رغم أنها لا تحمل أي سمات عصرية))^(٥٨).

إذ نلاحظ عبر هذا النص ، عملية الهيمنة للإقطاعيين ، وتسلطهم على رقاب الفلاحين ، والنظرة الاستحقاقية التي ينظرون عبرها إلى الفلاح ، فيما تنكشف الأساليب النسقية التي يستعملها النظام الإقطاعي ضدهم ، تتمثل في (السب ، والاذلال ، التهديد) ، التي من شأنها تؤدي إلى استصغار الآخر وتهميشه ، والمساس بكرامته ، وطمس هويته الخاصة .

اما رواية (يأجوج ومأجوج) فلا تذهب الهوية المركزية فيها بعيداً عن التمثيل في الأنظمة السياسية الحاكمة ، وتسلطها على رقاب الشعب وممارسة الضغط والقوة عليهم ، فضلاً عن تقييد حرية الرأي وسياسة الاقصاء .

ولكن قبل الولوج بأحداث الرواية اخترت أن ابدأ بالعنوان ، فالعنوان يعد ثيمة مهمة لإثراء النصوص ، كما يراه الكثير من أصحاب النقد السيميائي بل " هو مفتاح لإضاءة النص والكشف عن أسرار وخفاياه ، ويمثل بنية صغرى لا يمكن أن تنفصل عن البنية الكبرى التي تحتها "^(٥٩) . وقد اختار فوزي الطائي عنوان روايته (يأجوج ومأجوج) ، للدلالة على الفوضى والاضطراب التي شهدتها العراق إبّان الاستعمار الأمريكي ، لأن (يأجوج ومأجوج) هما اسمان اعجميان أو عربيان مشتقان من " المأج وهو الاضطراب ، أو من أجيح النار وتلهبها "^(٦٠) ، لذا جاءت عنوانة الرواية بهذا الاسم متطابقة ومتراصة مع محتوى بنيتها الداخلية ، التي تكشف عن هيمنة الاحتلال وما نتج عنه من فوضى عارمة تجوب البلاد ، ناهيك عن سياسة تكميم الافواه ، وتقييد الحريات واستخدام العنف ، والتعذيب ضد من يقف بوجهه أو يعارض وجوده ، حيث لأشياء قابل للحياة بفعل وجود الطغاة ، وهذا ما دل عليه اهداء الرواية أيضاً ((إلى كل من نال قسطاً من الظلم بفعل صناع الطغاة ، والطغاة))^(٦١) ، في ضوء الوقفة على عتبة اهداء الرواية ، نلاحظ هناك ترابط وانسجام بين اسم الرواية واهدائها ، كلاهما يفضي بنا إلى دلالة واحدة وهي ، تسلط الطغاة وفسادهم وهيمنتهم على المجتمع ، وإشاعة الفوضى والاضطراب في ظل وجود صناع الطغاة المتملقين لهم والمرحبين بهم ، والطغاة المتسلطين المستعمرين.

فضلاً عن ما يوحي إليه غلاف الرواية ، من أشارت رمزية تدل على ذلك ، فالغلاف " يظهر بشكل مباشر للمتلقي ، ويكون أول ما تراه العين ، فهو واجهة اشهارية للرواية وجسر للتواصل بين القارئ وما تتضمنه الرواية "^(٦٢) ، فجاء غلاف رواية (يأجوج ومأجوج) كلوحة تعلن عن الاضطراب والهلع وهي مقسمة نصفين : الجزء الاسفل من اللوحة يحتوي على شخصين (ذكر ،

وأنثى) وهما يقودان بعضهما، وقبضة يديهما متوقدة بالنار ، والجزء الأعلى: يحتوي على قضبان سجن ، وما يمكن ملاحظته وإدراكه من هذه اللوحة ، ومن الشخصيتين فيها ، هما (فاضل الاستاذ وهناء زوجه) بطلا الرواية ، وقد احترقت يداهما في مسيرة الحياة عبر دخول فاضل السجن ظلماً وجوراً ، وهذا ما سوف نكتشفه عبر بنية النص الداخلي للرواية.

لذا فقد جاء سرد الرواية وأحداثها على لسان بطل الرواية فاضل حسن الملقب (فاضل الاستاذ) وهو الشخصية الرئيسة المحورية التي تدور حولها أحداث الرواية ، وزوجه هناء ، ذلك العميد العسكري المتقاعد ، الذي عمل صحفياً بعد التقاعد في إذاعة ((أنا موظف إعلامي في الإذاعة))^(٦٣) والذي تم إلقاء القبض عليه بحجة تمرده على السلطة والنظام ((انت يا فاضل تتآمر على الحكومة وتريد أن يزول النظام))^(٦٤) ، وعلى الرغم من أن الروائي جعل زمن الرواية مجهولاً ، إلا ان يمكن لنا أن نكتشف زمنها من خلال الرموز والايحاءات التي وظفها في الرواية ، وذلك يظهر في وصف القوة التي أُلقيت القبض عليه ((رأيت حتى حلاقة رأسهم من نصفين النصف الاسفل من الرأس حلقته بنمرة صفر وسمت رأس عليه لمة من الشعر عالية برزت من جوانب غطاء الرأس ، بنادقهم هي الأخرى غريبة))^(٦٥) ، فهذه الموصفات تنطبق كثيراً على الجنود الأمريكيين ، أو عبر حديثه عن من كان يتواجد معه في السجن ((يوجد بيننا من ينتمي إلى الجماعات الإسلامية المتطرفة. كانوا يسمون أنفسهم في ذلك العهد حزب القاعدة (قاعدة التنظيم الإسلامي في العراق والشام))^(٦٦) . وهي جماعات إرهابية ظهرت في العراق بعد عام ٢٠٠٣ ، أو عبر استخدام مصطلحات متروكة في الحكم ((معالي السيد الرئيس...صاحب المعالي ... معالي الوزير ...السيد معالي الرئيس...معالي رئيس دولة الوزراء))^(٦٧) وهي مصطلحات ظهرت مع دخول الاستعمار الجديد مطلع القرن الحادي والعشرين.

وعلاوة على ذلك يمكن القول ، بأن زمن الرواية وأحداثها هو في بداية الاستعمار الأمريكي للعراق.

عبر هذا النص السردى ، والمشهد الحوارى المباشر بين المحقق والمتهم فاضل ، تتضح الهوية المركزية المتمثلة بالنظام السياسى ، التي تمارس الضغط والقوة على أبناء المجتمع ، بتهمة التمرد على السلطة ، فهي تشعر بأن وجودها بات مهدداً ولا يستقر إلا بإسكات الأصوات ، التي تهدد وجودها ، وخوفاً من أن تؤثر تلك الأصوات في نفوس المجتمع ، وينقلب الرأي العام ضدهم، فهي تبادر بالإسراع إلى تحجيم دورهم وإلقاء القبض عليهم، مهما كانت انتمائهم الوطنية ، ومن دون اكتراث واحترام لخصوصيتهم المجتمعية ، مستخدمة شتى وسائل القوة لتخلص من تلك

الأفعال، وهذا ما يبدو واضحاً أثناء سرد الأحداث على المحقق من قبل المتهم فاضل ((قال لنأت من الاول : كيف قضبوا عليك؟ قلت ... كنت نائماً في غرفتي بعد منتصف الليل بقليل ، الليلة المشؤومة التي تم إلقاء القبض بها علي ..فرد مقاطعاً بل تلك الليلة المباركة لتخلص من عدو لنا على الاقل نعهده مهماً لكبر رتبته وتأثير ثقافته...قلت نعم هذا صحيح ، قال متعجباً أو تقول صحيحاً اذاً تعترف انك مجرم ، قلت في نظرك أيها الاستاذ والتحقيق سيثبت من كوني مجرماً ام بريئاً ..قال استمر.. فسمعت طرقات متوالية على السلم الداخلي للدار كأنما حدث زلزال فيها فدخل في نفسي الرعب ... فدفعت الدثار عني وهممت أن انهض ، حتى ضربت باب الغرفة ضربات عنيفة افقدتني صوابي وتبعها صوت قوي انت فاضل ..قلت نعم..قال انهض وارفع يديك فوراً والا احرقناك بالرصاص...وفي دار لم تعرف يوماً الهرج والمرج امتثلت للأمر... شعرت باثنين من الجنود يمسكون بي من اليمين والشمال بقوة وجبورت..وفوراً اطبقوا يدي ووضعوا الجامعة عليها وفي تلك اللحظات شعرت بالمهانة ((^(٦٨)

إذاً تتضح الهيمنة التي تتمتع بها هوية السلطة المركزية ، والسلوكيات التي تمارسها ضد الآخر، وفي قوله (دار لم تعرف يوماً الهرج والمرج) دلالة على الفوضى التي تقوم بها السلطة التي لم تكن لها سابقة في المجتمع ، من حيث مdahمة المنازل من دون استاذان ، وسلاح منفلت ، واذلال وترهيب ينتج عنه تشطي الهوية لدى الآخر ، الذي يشعر بعدم انتمائه لهذا البلد الذي انعدم فيه الأمن والأمان ، وانتهكت كرامة الإنسان وحرية ، واصبحت القوة والسلاح تتحكم بمصير أبنائه، لا لشيء مهم سوى الانتقاد أو المعارضة لسياسة الحكومة وإدارتها البائسة ، فهم يعدون ذلك جرماً يحاسب عليه كل من تسول له نفسه أن يتهكم على النظام ، وهذا ما يبدو واضحاً عبر قول بطل الرواية ((الدقائق تمضي مثقلة بقلق كبير .. رغبة سلامة موقفي من الحكومة والناس إلا من التعليق السياسي الذي كنت اكتبه والقيه من إحدى الاداعات الحكومية ، انتقد فيها بشدة كذب وطائفية السيد الرئيس وبطانته. وهذا لوحده ليس بالأمر السهل فقد درجنا في مجتمعاتنا أن نخلق من الإنسان المسؤول صنماً نعبده ، بتقديم قربابين الطاعة والولاء له))^(٦٩)

وكما نلاحظ ، أن السلطة لجئت إلى نظام صارم من الاستبداد والقمع المستمر ضد الرأي الآخر وتقييد الحريات ، فلا يعد الأمر سهلاً أن تُشرع سيوف الانتقاد بوجه السلطة ، في ظل وجود الطغاة وصناعهم ، فالهوية المركزية التي تريد بسط سيطرتها على المجتمع ، بكل تأكيد لا تقوى دعائمها ولا تقوم اركانها الا بالاعتماد على من يكونون لها الولاء والطاعة ، وخاصة إذا كانت تلك السلطة قد جاءت من الخارج، مستغله بذلك وجود جماعات سياسة موالية لها ، لتحقيق أهدافها

، ويتضح ذلك عبر هذا النص ((قال احد الجنود هذا الرجل العظيم يقصد الرئيس: يشعر بأتعبنا.. في مناسبة العيد الماضي اكرمنا بمبالغ (عيدية) واليوم بدون مناسبة يرفع مخصصاتنا، قال زميله في السيارة : المقترح برفع المخصصات جاء من السيد العميد الركن أمر اللواء.. وهو ابن اوادم وعلى اتصال مباشر بأعمالنا، ويعرف إننا مخلصون في عملنا، لحد أن نكون مشاريع فداء واستشهاد لمعالي دولة فلان))^(٧٠)

تكن خلف هذا النص ، مضمرات نسقية ، نلتبس عبرها ، سياسة الترويض التي تقوم بها الهوية المركزية ، واستعمال وسائل الترغيب بالمال وغيرها ، من أجل الاستحواذ على نفوس البعض ، وجعلهم أدوات تتعزز عليهم للوصول إلى مبتغاها ، وتوسيع نطاقها في عملية السيطرة على الآخر ، مما يتضح من ذلك تبعثر الهوية وتشتتها لدى البعض ، بسبب تلك الممارسات التي تقوم بها السلطة ، فالهوية الوطنية لدى بعض الأفراد قد أصابها التشويه جراء ممارسات السلطة السياسية ، ولهذا فإن استمرار العنف وديمومة التوتر في الوضع السياسي والاجتماعي سببه بالدرجة الأساس هشاشة الهوية عند بعض أبناء المجتمع^(٧١) ؛ وهذا ما تطمح إليه الهوية المركزية ، جعل هوية المجتمع الوطنية مشتتة ، حتى تستطيع فرض هيمنتها السلطوية بأريحية مطلقة ، إذ كلما كان المجتمع متضعص أصبح سهل الانقياد .

فضلا عن ذلك الازدواجية التي تتمتع بها هوية السلطة الحاكمة ، إذ تدعي نفسها حاملة لواء الحرية والعدالة ، وهي تصدر الحريات وتقبعها بدافع التمرد على القانون ، وانما بالحقيقة تفعل ذلك بدافع الهيمنة ، وهي تمارس اقصى انواع تغييب الحريات المنافية للأسانية والديمقراطية)) قالوا سنحترم الكلمة ونحترم الإنسان ونحترم الحرية والديمقراطية وما كان الا زيفاً وكذباً ورياء ، مجرد كلام يكتب ويذاع برأي مواطن غيور على مصلحة بلده يلقي القبض عليه بهذه الصورة القاتمة .. لا أحد يشفق عليك هنا انت العدو الأول لهم ...مجرد وصولك إلى هذا المكان فأنت في نظرهم مجرم قبل ان يعرفوا عنك شيئاً...اناديك يازوجي ياولدي يا ابنتي يا جاري... فقط احضروا وشاهدوا كيف اكفن واغسل وادفن في غرفة بمترين مربعة لا تتسع أن تتمدد بها على طولك فتضطر أن تقف..ثم تجلس .. ثم تقف ..ما تعاقب الليل والنهار وعلى مدى ثلاثة اوقات محسوبة يدخلون إليك صحناً من الطعام فيه شيء قد لا يسد الرمق ، أما الماء فهو موجود عندك مجاور مكان التبول في آنية تسمع خريز بولك وتتوضأ فيها أيضا وكفى.. أيها الحاكم الذي يدعي العدالة هذه هي عدالة السماء؟))^(٧٢)

فيظهر لنا النص ، المفارقة الكبيرة بين مدعي الحرية ومغيبها ، فخلف الغرف المظلمة (السجون) تخفي عدالة السلطة ، بأفعال تعسفية وإجراءات وحشية ، ضحيتها الآخر العراقي ، الذي لا يقوى على مجابهة دكتاتورية الهوية المركزية المهيمنة عليه ، فيما يصور لنا الراوي، الحياة المأساوية التي كانت يعيشها فاضل ، داخل السجن ، حياة انعدمت فيها كل معالم الإنسانية والديمقراطية التي تدعيها السلطة ، مما ينتج عن ذلك صراع هوياتي تعيشه الذات العراقية مع الأنا المركزية (المستعمر) الطاغية.

فضلاً عن ذلك ، الشعارات الزائفة التي تلمع بها صورها ، من أجل التوغل داخل بنية المجتمع، كما في سرد بطل الرواية ((ثم أوامرهم أن لا يلتقي سجين مع سجين اخر بمحادثة أو سهرة ليلية في الداخل... حتى هذا الأمر صادروه، وهم الذين يعلنون في اعلاناتهم ونشرات اخبارهم انهم جاءوا من أجل حرية الإنسان واحترام حقوق الإنسان ، لكن الشيء المؤكد انها حرية مزعومة..تتهاوى أمام مصالحهم ، لقد وظفوا كل الكلام والشعارات التي تفننوا في صياغتها، من أجل دخولهم إلى سدة الحكم أولاً والإفادة المادية والنفسية من ما يضمنه كرسي الحكم من مغريات))^(٧٣)

وكما أسلفنا سابقاً، بأن الهوية المركزية الحاكمة وخاصة المستعمرة ، تتبنى ايديولوجيات فكرية توظفها كدرع تحمي نفسها بها من الانتقاد والمعارضة لها من قبيل المجتمع ، وتتنكر بوجه الديمقراطية والعدالة ، حتى لا تظهر بصورة المستعمر ، وكل ذلك لغرض تسربها إلى المجتمع، بصورة تتيح لها التمتع في البقاء في سدة الحكم ، رداً من الزمن ، وهذا ما يمكن أن نلتمسه في ضوء هذا النص.

يقول بول ريكور : أن التاريخ يمكن أن يصبح سرداً والسرد تاريخاً^(٧٤)؛ وهكذا فإن روايات فوزي الطائي ، ارخت حقبة مظلمة من تاريخ العراق ، إذ اتبع الروائي تسلسلاً زمنياً منطقياً للأحداث ، بدءاً من الحرب العراقية الإيرانية ، مروراً بحرب الكويت ، وانتهاءً بالغزو الأمريكي للعراق ، وهو زمن مضطرب ومزدحم بالأحداث والمواقف المصيرية للعراق ، فهي تُعد بذلك من جنس الروايات الواقعية التي تحمل هدفاً .

لذا بناءً على ما سبق ، يمكننا الاستنتاج أن الهوية المركزية في روايات (فوزي الطائي) حاضرة دائماً ، وتمثل هوية مهيمنة، تتميز بالقمع والسلطوية ، وتُعد أيضاً أيديولوجية ثقافية لها جذور نسقية ، ساعدت هذه العوامل في بروزها والسيطرة على الصدارة والهيمنة ، وفي الوقت نفسه جعلتها أسيرة لهذا النسق المركزي الذي يظهر بأشكال متنوعة ومتشابهة في استعباد الآخر

وتهميشه، والسعي لنفيه وتجاهله. وهذا يعني أن كل عصر يمارس أشكالاً جديدة من السلطة والهيمنة على الآخر، بهدف تحقيق الأنا الطاغية والتفرد بالنسق السلطوي والشمولي الذي يتدخل في حياة الأفراد الشخصية ويسيطر على رغباتهم وتحركاتهم وحرّياتهم.

الهوامش:

- ١_ المطابقة والاختلاف، بحث في المركزيات الثقافية، د. عبدالله إبراهيم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٤، ٢٢
- ٢_ ينظر: الحوت الأزرق (الهوية، الكتابة، العنف)، أدونيس، دار الآداب، بيروت، ط١، ٢٠٠٢، ٢٠٢
- ٣_ ينظر: الذات والآخر، تأملات معاصرة في العقل والسياسة والواقع، محمد شوقي الزين، منشورات ضفاف، بيروت، ٢٠١٢، ٩
- ٤_ ينظر: جدل الهويات في العراق، عبد الحسين شعبان، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط١، ٢٠١٠، ٢٨
- ٥_ إشكالية السلطة في تأملات العقل الشرقي القديم والإسلامي الوسيط، د. عامر حسن فياض، و د. علي عباس مراد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ٢٠٠٥، ١٥.
- ٦_ إشكالية السلطة في تأملات العقل الشرقي القديم والإسلامي الوسيط، ٣٦.
- ٧_ ينظر: النقد الثقافي، تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية، أثرثر ايز ابرجر، تر: وفاء إبراهيم، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٣، ١٠٩.
- ٨_ ينظر: مدركات النفس والآخر في قصص يوسف الشاروني، كيت فكتوريا، تر: محمد الحديدي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٣، ٢٤
- ٩_ ينظر: تماثلات الذات المروية على لسان الانا، د. منال بنت عبد العزيز العيسى، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط١، ٢٠١٣، ٢٥
- ١٠_ لا نبكي غداً، رواية فوزي الطائي، دار تموز، دمشق، ط١، ٢٠١٢، ١٠٠
- ١١_ لا نبكي غداً: ١١٧
- ١٢_ لا نبكي غداً: ٥
- ١٣_ لا نبكي غداً: ١١٧
- ١٤_ لا نبكي غداً: ٧
- ١٥_ لا نبكي غداً: ١٩٢، القصيدة طويلة، ينظر كذلك: ١٩٣، ١٩٤.

- ١٦_ لا نبكي غداً : ١٤ ، ١٥
- ١٧_ لا نبكي غداً : ١٨
- ١٨_ لا نبكي غداً : ٤٠
- ١٩_ لا نبكي غداً : ١٥٦ ، ١٥٧
- ٢٠_ لا نبكي غداً : ١٠١
- ٢١_ الذات الجريحة ، إشكالات الهوية في العراق والعالم العربي (الشرقمتوسطي) ، سليم مطر ، مركز دراسات الوحدة العربية ، جنيف _ بغداد ، دار الكلمة الحرة ، بيروت _ لبنان ، ط٤ ، ٢٠٠٨ ، ١٣٢
- ٢٢_ الرواية والتاريخ ، سلطة الحكاية وحكاية السلطان ، عبد السلام أقلمون ، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت ط ١ ، ٢٠١٠ ، ١١٦
- ٢٣_ لا نبكي غداً : ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢
- ٢٤_ لا نبكي غداً : ١٣٣
- ٢٥_ العراق ، تاريخ سياسي من الاستقلال إلى الاحتلال ، عضيد داويشه، تر: سامر طالب، دار الرافدين للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠١٩ ، ٣١٩
- ٢٦_ كان لي قلب، رواية فوزي الطائي، دار تموز ، دمشق ، ط١ ، ٢٠١٥ : ٢٠
- ٢٧_ كان لي قلب : ٢٩
- ٢٨_ كان لي قلب : ١٣
- ٢٩_ كان لي قلب : ١٢
- ٣٠_ كان لي قلب : ١٥
- ٣١_ كان لي قلب : ٢٦ ، ٢٧
- ٣٢_ كان لي قلب : ٢٨ .
- ٣٣_ كان لي قلب ، ١٠٢ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٤ .
- ٣٤_ ينظر: الهوية غير المكتملة، أدونيس، بدايات للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا، ط١ ، ٢٠٠٥ : ٢٥ .
- (*) الوشاية : نقل ما يكره نقله ، وذلك بنقل أخبار لا أساس لها من الصحة إلى الناس مع علم المبلغ بزيفها.

(**) نلاحظ في هذه الرواية (كان لي قلب) حصل التباس عند الروائي الطائي ، في اسم بطل الرواية (باسم) ، إذ أطلق عليه في عدة مواضع اسم (فائز) وفائز هو بطل رواية (لا نبكي غداً) وهذا يدل على تداخل الأفكار بين الروائيتين، لكونها يتناولان موضوع الحرب ، ولكون أبطالها ضباط ، مما سببت له ذلك الالتباس، ويمكن معالجة هذا الأمر في الطبعة الثانية ، وللاطلاع على ذلك ، ينظر : كان لي قلب : ١٥٢ .

٣٥_ ينظر : ازمة الهوية والثورة على الدولة، عبير بيسوني رضوان، دار السلام للطباعة والنشر، ط ١ ، ٢٠١٢ ، ١١٠ .

٣٦_ كان لي قلب : ٣٨

٣٧_ ينظر : سوسيولوجيا الهوية (جدليات الوعي والتفكك وإعادة البناء) ، د. عبد الغني عماد، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت، لبنان، ط ١ ، ٢٠١٧ ، ٢٣٠

٣٨_ عفوا أيتها الشمس، رواية فوزي الطائي، دار الصواف للطباعة والنشر، بابل ، ط ١ ، ٢٠١٨ ، ٥

٣٩_ مكالمات هاتفية للباحث ، مع الكاتب والروائي فوزي الطائي، يوم الاثنين، ٦ / ١١ / ٢٠٢٣ ، الساعة العاشرة مساءً .

٤٠_ عفوا أيتها الشمس : ٤٦ ، ٤٧

٤١_ عفوا أيتها الشمس : ص ٦٣ ، ٦٤

٤٢_ الهوية والسرد ، دراسات في النظرية والنقد الثقافي، د. نادر كاظم، دار الفراشة للنشر والتوزيع، ط ٢ ، ٢٠١٦ ، ٧٩

٤٣_ عفوا أيتها الشمس : ٨٥ ، ٨٦

٤٤_ ازمة الهوية الطائفية في العراق بعد الاحتلال الامريكي، رسالة ماجستير، حيزية بركات، جامعة المسييلة، كلية الحقوق، ٢٠١٦ ، ٥٩

٤٥_ عفوا أيتها الشمس : ٨٨ ، ٨٩

(*) السريالية : تعني الأفكار الباطنية ، أو تحرير الطاقات الدفينة الكامنة في أعماق الشخص.

٤٦_ عفوا أيتها الشمس : ٨٩

٤٧_ عفوا أيتها الشمس : ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١

(*) الزنيم : هو الذي لا اصل له، ولا يعرف له نسب، وله علامات شريرة تميزه.

(**) العليج : هو الرجل الغليظ المجادل الغبي.

- ٤٨_ عفوا أيتها الشمس: ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤
- (*) التمريك: مصطلح خاص بالباحث: مفهوم يمكن أن نطلقه على قضية تحويل الأشخاص ومدنهم من هويتها الثقافية الأصلية إلى الأمريكية بواسطة الإكسار والقهر، أي بطريقة عنيفة جدا.
- ٤٩_ وكان أمرا مقضيا ، رواية فوزي الطائي ، دار الصواف للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٨ ، ١١٧.
- ٥٠_ وكان أمرا مقضيا : ٣٦
- ٥١_ وكان أمرا مقضيا : ١٤٣
- ٥٢_ وكان أمرا مقضيا : ١٨٣
- ٥٣_ وكان أمرا مقضيا : ١٢٩
- ٥٤_ وكان أمرا مقضيا : ١٤
- ٥٥_ ينظر : الشخصية العراقية، البحث عن الهوية، د. إبراهيم الحيدري، التتوير للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ٢٠١٣ ، ١١٠ ، ٢١٠
- ٥٦_ وكان أمرا مقضيا : ٣٤ ، ٣٥
- ٥٧_ الهوية بين الانا والآخر ، قراءة في التراث المعرفي ، ا.د ميمونة مناصرية، مجلة العلوم الانسانية لجامعة ام البواقي، مجلد ٦، عدد ١ ، ٢٠١٩ : ٢١٢
- ٥٨_ وكان أمرا مقضيا : ٤١
- ٥٩_ ثريا النص في حكايات الموصل الشعبية : قراءة في التركيب والدلالة، بتول حمدي البستاني ، على الموقع الإلكتروني <https://search.emarefa.net/ar/detail/BIM-330840>
- ٦٠_ نبذة حول يأجوج ومأجوج، اسلام ويب ، <https://www.islamweb.net/amp/ar/fatwa/95467>
- ٦١_ يأجوج ومأجوج : ٥ .
- ٦٢_ مأزق الهوية في الغلاف الروائي، د. مجدي الاحمدي، مجلة بحوث سيميائية، مجلد ٩، عدد ١٦، ٢٠٢١ : ٦٨
- ٦٣_ يأجوج ومأجوج : ٣٣
- ٦٤_ يأجوج ومأجوج : ٨
- ٦٥_ يأجوج ومأجوج : ١٥
- ٦٦_ يأجوج ومأجوج : ٣١

- ٦٧_ يأجوج ومأجوج : ١٣ ، ٢٣ ، وينظر كذلك ، ٥٢ ، ٥٣ .
- ٦٨_ يأجوج ومأجوج : ٧ ، ٨
- ٦٩_ يأجوج ومأجوج : ٩ ، ١٠
- ٧٠_ يأجوج ومأجوج : ١٢
- ٧١_ ينظر : إشكالية الهوية في العراق الأصول والحلول ، علي عباس مراد ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط١ ، ٢٠١٣ ، ٣١٣
- ٧٢_ يأجوج ومأجوج : ٢٣ ، ٢٤
- ٧٣_ يأجوج ومأجوج : ٢٦ ، ٢٧ .
- ٧٤_ ينظر : الهوية والسرد ، بول ريكور ، حاتم الورفلي ، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع ، ط١ ، ٢٠٠٩ : ١٢٢ ، ١٢٤
- المصادر والمراجع :**
- ١_ ازمة الهوية والثورة على الدولة ، عبير بيسوني رضوان ، دار السلام للطباعة والنشر ، ط١ ، ٢٠١٢
- ٢_ ازمة الهوية الطائفية في العراق بعد الاحتلال الامريكي ، رسالة ماجستير ، حيزية بركات ، جامعة المسيلة ، كلية الحقوق ، ٢٠١٦
- ٣_ سوسيولوجيا الهوية (جذليات الوعي والتفكك وإعادة البناء) ، د. عبد الغني عماد ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠١٧
- ٤_ إشكالية السلطة في تأملات العقل الشرقي القديم والإسلامي الوسيط ، د. عامر حسن فياض ، و د. علي عباس مراد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط١ ، ٢٠٠٥
- ٥_ إشكالية الهوية في العراق الأصول والحلول ، علي عباس مراد ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط١ ، ٢٠١٣
- ٦_ لا نبكي غداً ، رواية فوزي الطائي ، دار تموز ، دمشق ، ط١ ، ٢٠١٢
- ٧_ تمثيلات الذات المروية على لسان الانا ، د. منال بنت عبد العزيز العيسى ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت ، ط١ ، ٢٠١٣
- ٨_ ثريا النص في حكايات الموصل الشعبية : قراءة في التركيب والدلالة ، بتول حمدي البستاني ، على الموقع الإلكتروني <https://search.emarefa.net/ar/detail/BIM-330840>

- ٩_ جدل الهويات في العراق، عبد الحسين شعبان ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت ، لبنان ط١ ، ٢٠١٠
- ١٠_ الحوت الأزرق (الهوية ، الكتابة ، العنف) ، أدونيس ، دار الآداب ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٢
- ١١_ الذات والآخر، تأملات معاصرة في العقل والسياسة والواقع، محمد شوقي الزين ، منشورات ضفاف ، بيروت ، لبنان ، ٢٠١٢
- ١٢_ الذات الجريحة ، إشكالات الهوية في العراق والعالم العربي (الشرقمتوسطي) ، سليم مطر ، مركز دراسات الوحدة العربية ، جنيف _ بغداد ، دار الكلمة الحرة ، بيروت ، لبنان ، ط٤ ، ٢٠٠٨
- ١٣_ الشخصية العراقية، البحث عن الهوية، د. إبراهيم الحيدري، التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان ط١ ، ٢٠١٣
- ١٤_ الحوت الأزرق (الهوية ، الكتابة ، العنف) ، أدونيس ، دار الآداب ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٢
- ١٥_ الرواية والتاريخ ، سلطة الحكاية وحكاية السلطان ، عبد السلام أقلمون ، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت ط١ ، ٢٠١٠
- ١٦_ مدركات النفس والآخر في قصص يوسف الشاروني، كيت فكتوريا، تر: محمد الحديدي، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٣
- ١٧_ المطابقة والاختلاف ، بحث في المركزية الثقافية ، د. عبدالله إبراهيم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٤
- ١٨_ عفوا أيتها الشمس، رواية فوزي الطائي، دار الصواف للطباعة والنشر، بابل ، ط١ ، ٢٠١٨
- ١٩_ العراق ، تاريخ سياسي من الاستقلال إلى الاحتلال، عضيد داويشه، تر: سامر طالب، دار الرافدين للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠١٩
- ٢٠_ كان لي قلب، رواية فوزي الطائي، دار تموز ، دمشق ، ط١ ، ٢٠١٥
- ٢١_ مآزق الهوية في الغلاف الروائي، د. مجدي الاحمدي، مجلة بحوث سيميائية، مجلد ٩، عدد ١٦
- ٢٢_ نبذة حول يأجوج ومأجوج، اسلام ويب
- <https://www.islamweb.net/amp/ar/fatwa/95467>
- ٢٣_ النقد الثقافي ، تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية، أثرثر ايز ابرجر ، تر : وفاء إبراهيم ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٣

- ٢٤ __ الهوية والسرد ، دراسات في النظرية والنقد الثقافي، د. نادر كاظم، دار الفراشة للنشر والتوزيع، الكويت ، ط٢، ٢٠١٦
- ٢٥ _الهوية بين الانا والآخر ، قراءة في التراث المعرفي ، ا.د. ميمونة مناصرية، مجلة العلوم الانسانية لجامعة ام البواقي، مجلد ٦، عدد ١ ، ٢٠١٩
- ٢٦ __الهوية غير المكتملة، أدونيس، بدايات للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا، ط١، ٢٠٠٥
- ٢٧ _الهوية والسرد ، بول ريكور ، حاتم الورفلي ، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع ، ط ١، ٢٠٠٩
- ٢٨ _وكان أمرا مقضيا ، رواية فوزي الطائي ، دار الصواف للطباعة والنشر والتوزيع، بابل ، ط١، ٢٠١٨
- ٣٩ _يأجوج ومأجوج، رواية فوزي الطائي، دار الصواف للطباعة والنشر، بابل ، ط ١ ، ٢٠٢٣